الأربعون القلبية

أربعون حديثًا في القلب وأحواله

تـأليـف :

د. نــادر نمر وادي

محاضر في السنة وعلوم الحديث

جامعة الأقصى / غزة - فلسطين

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إِنَّ اَلْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاَللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اَللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

أما بعد، فَإِنَّ خَيْرَ الْأُمُورِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

هذه أربعون حديثًا في القلب وأحواله، من الأحاديث النبوية الصحيحة، جمعتها لما رأيت من اهتمام السنة النبوية الشريفة بقلب الإنسان، حيث أولته اهتماما كبيرا فهو في الجوارح كالمَلِك في الناس، وهو المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله.

وقد استخرت الله في جمعها حبًا في سنة النبي ﷺ، واقتفاءًا لآثاره، وحفظًا لسنته، ونشرًا لهديه، والتماسًا لبركة الحديث الوارد في فضل من حفظ على الأمة أربعين حديثًا من أمر دينها، وهو قول رسول الله ﷺ: (مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا فِيمَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ)، وفي رواية: (وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعًا وَشَهِيدًا)[1]، وروايات آخرى، وإن

---

(1) شعب الإيمان للبيهقي – فصل في فضل العلم وشرف مقداره: ح/ ١٥٩٦ و١٥٩٧.
وقال البيهقيُ رحمه الله: " هَذَا مَتْنٌ مَشْهُورٌ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ، وَلَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ ".

كان الحديث ضعيفًا كما أفاد العلماء[1]، إلا أن أحاديث أخرى كثيرة تؤكد فضل حفظ وتبليغ أحاديث النبي ﷺ عمومًا، وقد سار على ذلك جميعٌ كبير من علماء الإسلام، فألفوا أربعينات في أصول الدين وفروعه.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ : " واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه، وقد صنف العلماء -رضي الله تعالى عنهم- ما لا يحصى من المصنفات ، فأول من علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك ، ثم محمد بن أسلم الطوسي العالم الرباني، ثم الحسن بن سفيان النسوي ، وأبو بكر الآجري ، والدارقطني ، والحاكم ، وأبو نُعيم ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو سعيد الماليني ... وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين . وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثاً اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام ، وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث بل على قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة: (لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ)[2] وقوله ﷺ (نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا

---

(١) قال البوصيري : رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَابْنُ مَسْعُودٍ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، بِطُرُقٍ كَثِيرَاتٍ بِرِوَايَاتٍ مُتَنَوِّعَاتٍ ، وَاتَّفَقَ الْحُفَّاظُ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ ، وَإِنْ كَثُرَتْ طُرُقُهُ. [إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة : ح/ ٢٩٠] ، ونقل النووي في مقدمة أربعينه اتفاق الحفاظ على ضعفه مع كثرة طرقه [ص٢٣].

(٢) صحيح البخاري – كتاب العلم – باب : ليبلغ العلم الشاهد الغائب ، ح/ ١٠٥.

وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا)[١]، ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين، وبعضهم في الفروع، وبعضهم في الجهاد، وبعضهم في الزهد، وبعضهم في الآداب، وبعضهم في الخطب، وكلها مقاصد صالحة -رضي الله تعالى- عن قاصديها "[٢].

وقد انتقيتها من بين طائفة كبيرة من الأحاديث ذات العلاقة بالموضوع، سواء تصريحًا أو تلميحًا ، ولكن اختصارًا اكتفيت بما له علاقة مباشرة ، وشرطي فيها الصحة ، وإن ورد شيءٌ ضعيف فهي أفراد قليلة جدًا ، وليست في أصل الباب ، أو هي مما يُتَجوز فيه في الترغيب والترهيب والفضائل عند فريق من العلماء[٣]، فأوردها مقرونة ببيانها – إن شاء الله تعالى – ، مع الاتيان بما يشهد لصحة المعنى وصحة الباب عمومًا ، وقد جمعت أصولها في ليلة واحدة – بحمد الله تعالى– ، وخرجتها باختصار ، ناقلاً ما يطمئن به القلب من أحكام العلماء عليه صحةً أو ضعفًا، وشرحت غريبها ، وأبرزت موضع الشاهد منها ، واستخرجت أهم الفوائد واللطائف والدوس منها ، مما انقدح

---

(١) سنن الترمذي – أبواب العلم عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ : ح/ ٢٦٥٧ و٢٦٥٨. وصححه الألباني . سلسلة الأحاديث الصحيحة : ح/ ٤٠٤ ، وصحيح الجامع الصغير : ح/ ٦٧٦٦.

(٢) مقدمة الأربعين النووية : ص ٢٣.

(٣) وهي الأحاديث : السادس والعشرون ، والرابع والثلاثون . والبقية وردت في الشرح وليست في أصل الباب .

في قلبي ، أو مما وقفت عليه من كلام العلماء ، وقد بلغت اثنان وأربعون حديثًا، إذا العدد الوارد في الحديث "أربعين" لا يفيد الحصر بلا زيادة.

وقد رتبتها على ثلاثة أقسام ، بادئًا بما يتعلق بالعقيدة وأصول الدين ، ثم ما يتعلق بالعبادات ، ثم ما يتعلق بالأخلاق والتربية والسلوك .

وقد بدأتها بحديث (إِنَّ فِي اَلْجَسَدِ مُضْغُة) التماسًا لصلاح القلب وحضًا عليه ، واظهارًا لأهمية القلب بين سائر الأعضاء ، والذي به يتحقق كل خير بعده ، وختمتها بحديث (القلب السليم) ؛ لعل الله أن يرزقنا قلبًا سليمًا نلقاه به ، وأحبتنا وإخواننا من المسلمين – اللهم آمين – .

سائلاً الله تعالى أن يضع لها القبول في الأرض ، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم ، وأن ينفعني والمسلمين بها ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قاله بجنانه وكتبه ببنانه أفقر فقير إلى مولاه

د . نادر بن نمر وادي

محاضر في السنة وعلوم الحديث

جامعة الأقصى / غزة – فلسطين

جوال : ٠٠٩٧٢٥٩٩٨٨٠٤٠٨

إيميل : nader_٢٠٠٧@hotmail.com

٢٣ جمادى الأول ١٤٣٦ هجرية

الحديث الأول

القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله

رُوِّينا عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ ؛ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى ؛ يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ).[١]

شرح الحديث :

قال ابن رجب رحمه الله : ذكر النبي ﷺ كلمة جامعة لصلاح حركات ابن آدم وفسادها ، وأن ذلك كله بحسب صلاح القلب وفساده، فإذا صلح القلب صلحت إرادته وصلحت جميع الجوارح فلم تنبعث إلى طاعة الله واجتناب سخطه فقنعت بالحلال عن الحرام . وإذا فسد القلب فسدت إرادته، ففسدت الجوارح كلها وانبعث في معاصي الله عز وجل وما فيه سخطه ولم تقنع بالحلال ؛ بل أسرعت في الحرام بحسب هوى القلب وميله عن الحق ، فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع يوم القيامة عند الله غيره ، وهو أن يكون سليمًا من

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان – باب فضل من استبرأ لدينه : ح/ ٥٢ .

جميع ما يكرهه الله من إرادة ما يكرهه الله ويسخطه ولا يكون فيه سوى محبة الله وإرادته ومحبته ما يحبه الله وإرادة ذلك وكراهة ما يكرهه الله والنفور عنه .

والقلب الفاسد هو القلب الذي فيه الميل على الأهواء المضلة والشهوات المحرمة ، وليس فيه من خشية الله ما يكف الجوارح عن اتباع هوى النفس ؛ فالقلب ملك الجوارح وسلطانها ، والجوارح جنوده ورعيته المطيعة له المنقادة لأمره ، فإذا صلح الملك صلحت رعاياه وجنوده المطيعة له المنقادة لأوامره ، وإذا فسد الملك فسدت جنوده ورعاياه المطيعة له المنقادة لأوامره و نواهيه. إنتهى[1].

فانظر –يرحمك الله– كيف شبَّه القلب بالقائم على سائر الأعضاء ، فهو مضغة صغيرة من اللحم ، ولكن دورها عظيم ، بما وضعه الله فيه من سره وعظيم خلقه ، فإذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله .

---

(١) فتح الباري : ص ١/ ٢٠٨

الحديث الثاني

من شهد لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة موقن بها قلبه

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبِ مُوقِنٍ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهَا) .[1]

وفي رواية ابن حبان : (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ اَلْجَنَّةَ).[2]

شرح الحديث :

قال السندي : قوله ﷺ (يَرْجِع ذَلِكَ إِلَى قَلْب مُوقِن) أَيْ يَكُون نَاشِئًا عَنْ قَلْب مُوقِن ، وَيَكُون أَصْله ذَلِكَ كَأَنَّهُ تَفَرَّعَ عَنْ أَصْل يَرْجِع إِلَيْهِ .

قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله : قوله ﷺ : "دخل الجنة" يريد به جنة دون جنة لأنها جنان كثيرة ، فمن أتى بالإقرار الذي هو أعلى شعب الإيمان ، ولم يدرك العمل ثم مات ، أدخل الجنة ، ومن أتى بعد الإقرار من الأعمال قل أو كثر ، أدخل الجنة ، جنة فوق تلك الجنة ، لأن من كثر عمله علت درجاته ، وارتفعت

([1]) سنن ابن ماجه – كتاب الأدب – باب فضل لا إله إلا الله – : ح/ ٣٠٦٣. وهو صحيح . صحيح ابن ماجة للألباني : ٣٠٦٣.

([2]) صحيح ابن حبان – كتاب الإيمان – باب فرض الإيمان – ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جل وعلا : ح/ ٢٠٠.

جنته ، لا أن الكل من المسلمين يدخلون جنة واحدة ، وإن تفاوتت أعمالهم وتباينت ، لأنها جنان كثيرة لا جنة واحدة .[1]

وقد جاء في الحديث أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان:

وهو حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا ، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا - أَوِ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً) قَالَ وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرٌو الْحَيَاةِ وَقَالَ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ.[2]

وهذا الحديث فيه أنه لا يبقى في النار أحد في قلبه أدنى قدر من الإيمان والخير.

قال العيني رحمه الله : المقصود من الحديث بيان أن بعض المؤمنين يدخلون الجنة أول الأمر ، وبعضهم يدخلون آخراً ، لأنا نقول: يدل على تفاوت الناس في الأعمال أيضاً ، لأن الإيمان : إما التصديق وهو عمل القلب ، وإما التصديق مع العمل ، وعلى التقديرين قابل للتفاوت ، إذ مثقال الحبة إشارة إلى ما هو أقل منه أو تفاوت الثواب مستلزم لتفاوت الأعمال شرعاً ، ويحتمل أن يراد من الأعمال

---

(١) حاشية السندي على ابن ماجة : ح/ ٣٧٨٦. صحيح ابن حبان : ١/ ٤٣٠ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب : تفاضل أهل الإيمان في الأعمال : ح/ ٢٢.

ثواب الأعمال ، إما تجوزاً بإطلاق السبب وإرادة المسبب ، وإما إضماراً بتقدير لفظ الثواب مضافاً إليها.

قوله ﷺ : (مثقال حبة) المثقال : كالمقدار لفظاً ومعنى ، وفي " العباب ": مثقال الشيء ميزانه من مثله .

وأما المراد ههنا من المثقال فقد قيل : هو وزن مقدر ، الله أعلم بقدره ، وليس المراد المقدر هذا المعلوم ، فقد جاء مبيناً ، وكان في قلبه من الخير ما يزن البرة ، والحبة .

وقوله ﷺ : (من خردل) هو نبات معروف يشبه الشيء القليل البليغ في القلة ، بذلك يعني: يدخل الجنة من كان في قلبه أقل قدر من الإيمان .

وقوله ﷺ : (صفراء) تأنيث الأصفر من الاصفرار ، وهو من جنس الألوان للرياحين ، ولهذا تسر الناظرين ، وسيد رياحين الجنة : الحناء ، وهو أصفر .

وقوله ﷺ : (ملتوية) أي : منعطفة منثنية ، وذلك أيضاً يزيد الريحان حسناً ، يعني اهتزازه وتميله ، والله تعالى أعلم .

وقوله ﷺ : (مثقال حبة من خردل) ، من باب التمثيل ليكون عياراً في المعرفة ، وليس بعيار في الوزن ، لأن الإيمان ليس بجسم يحصره الوزن أو الكيل ، لكن ما يشكل من المعقول قد يرد إلى عيار المحسوس ليفهم ، ويُشَبَّه به ليعلم ، والتحقيق فيه أنه يجعل عمل العبد ، وهو عرض في جسم على مقدار العمل عند الله ، ثم يوزن .

وفيه من الفوائد :

الأولى : أنه حجة لأهل السنة على المرجئة ، حيث عُلم منه دخول طائفة من عصارة المؤمنين النار ، إذ مذهبهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، فلا يدخل العاصي النار .

الثانية : فيه حجة على المعتزلة ، حيث دَلَّ على عدم وجوب تخليد العاصي في النار.

الثالثة : فيه دليل على تفاضل أهل الإيمان في الأعمال .

الرابعة : ما قيل : إن الأعمال من الإيمان لقوله ﷺ : (خردل من إيمان) ، والمراد ما زاد على أصل التوحيد . قلت –العيني- : لا دلالة فيه على ذلك أصلاً على ما لا يخفى.

وقوله ﷺ : (قال وُهَيْبٌ حدثنا عَمْرٌ و الحَيَاةِ وقال خَرْدَلٍ مِنْ خيْرٍ). وفيه معنى زائد على الإيمان كالذكر الخفي والصدقة ونحو ذلك .[1]

---

(١) عمدة القاري للعيني : ١/ ١٦٩.

الحديث الثالث

لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، وَلاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ).[1]

شرح الحديث :

انظر –يرحمك الله– إلى عظيم معنى الحديث ، وضرورة سلامة القلب ، فلا يدخل الجنة من كان في قلبه كبر ، سواء تكبر عن الإيمان ، فهو أصلا لا يدخل الجنة ، أو تكبر على الخلق فهو لا يدخل الجنة بهذا الكبر ، وإنما قد يتكرم المولى عليه ويدخله اياها بعد مجازاته وتصفية قلبه من الكبر ، وهو الظاهر من معاني الحديث .

وكذلك لا يدخل النار تخليدًا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، وإنما يكون مآله إلى الجنة بإذن الله تعالى ، بعد أن يجازى بأعماله إن كان من أهل الكبائر ومات دون توبة منها .

فتأمل يا أخي إلى عظيم دور هذه المضغة "القلب" ، وكيف يكون بها النجاة أو الرداة . اللهم طهر قلوبنا من الكبر ، واملأها بالإيمان والتواضع .

---

[1] صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب تحريم الكبر وبيانه : ح/ ٢٧٦.

الحديث الرابع

لا ينظر الله إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ). وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ.[١]

وفي رواية عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ).[٢]

شرح الحديث :

وهذا حديث جليل، قام عليه أكثر شعائر الدين، فالقلب موضع النية، التي هي ركن في كل العبادات، وهو موضع نظر الرب - جل وعلا - ، فالله لا ينظر إلى صور بني آدم ، ولا إلى أجسادهم ، ولا إلى أموالهم ، فليس هذا موضع اهتمامه - جل وعلا - ، وليست هي معيار القرب والبعد منه – تبارك وتعالى – بكثرتها أو قلتها، بجمالها أو بقبحها، وإنما العبرة بالقلب، فيه تكون الصور والأجساد والأموال ذا قيمة أو بدونها .

وأما المعاني: (إن الله لا ينظر إلى صوركم) أي لا يجازيكم على ظاهرها.

---

(١) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم ظلم المسلم – ح/ ٦٧٠٧.

(٢) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم ظلم المسلم – ح/ ٦٧٠٨

وقوله ﷺ : (ولا إلى أموالكم) الخالية من الخيرات أي لا يثيبكم عليها ولا يقربكم منه.

وقوله ﷺ : (ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) التي هي محل التقوى وأوعية الجواهر وكنوز المعرفة .

فمعنى النظر هنا الإحسان والرحمة والعطف ، ومعنى نفيه نفي ذلك، فعبر عن الكائن عند النظر بالنظر مجازًا ، وذلك لأن النظر في الشاهد دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكراهية ، وميل الناس إلى الصور المعجبة والأموال الفائقة والله منزه عن ذلك ، فجعل نظره إلى ما هو السر واللب وهو القلب والعمل.

والجمال قسمان ظاهري وباطني ، كجمال علم وعقل وكرم، وهذا هو محل نظر الله من غيره ، وموضع محبته ، فيرى صاحب الجمال الباطني فيكسوه من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات فإن المؤمن يعطي حلاوة ومهابة بحسب إيمانه ، فمن رآه هابه ومن خالطه أحبه ، وإن كان أسود مشوهًا وهذا أمر مشهود للعيان.

قال الغزالي : قد أبان هذا الحديث أن محل القلب موضع الرب ، فيا عجبًا ممن يهتم بوجهه الذي هو نظر الخلق فيغسله وينظفه من القذر والدنس ويزينه بما أمكن لئلا يطلع فيه مخلوق على عيب ، ولا يهتم بقلبه الذي هو محل نظر الخالق فيطهره ويزينه لئلا يطلع ربه على دنس أو غيره فيه.[١]

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي: ٢/ ٥٣٧.

الحديث الخامس

إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس

عن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ (إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ .. الحديث)[١] .

ومنه حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ فِى سَرِيَّةٍ فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَّ. فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِى نَفْسِى مِنْ ذَلِكَ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ (أَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَّ وَقَتَلْتَهُ). قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاَحِ. قَالَ (أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ). فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَىَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّى أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ. قَالَ : فَقَالَ سَعْدٌ وَأَنَا وَاللهَّ لاَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ. يَعْنِى أُسَامَةَ . قَالَ : قَالَ رَجُلٌ أَلَمْ يَقُلِ اللهَّ (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهَّ) فَقَالَ سَعْدٌ : قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ.[٢]

---

(١) صحيح البخاري – كتاب المغازي – باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام : ح/ ٤٣٥١.

(٢) البخاري ومسلم – واللفظ له كتاب الإيمان – باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله .

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (الحرقات) بطن من جهينة القبيلة المعروفة.(١)

فتأمل هذا الحديث ، الذي قامت عليه الشريعة ، وصلح عليه أمر الناس في الدنيا، حيث ترك التفتيش عما في القلوب ، والاكتفاء بما في اللسان والجوارح ، وترك ما في القلوب إلى الله تعالى في الآخرة ، ولو أن الناس كلفوا بالتفتيش ومؤاخذة بعضهم بما في قلوبهم لهلكوا جميعًا .

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله : اعلم أن العبرة في الدنيا بما في الظواهر اللسان والجوارح ، وأن العبرة في الآخرة بما في السرائر بالقلب فالإنسان يوم القيامة يحاسب على ما في قلبه ، وفي الدنيا على ما في لسانه وجوارحه ، قال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٨-٩] يوم تختبر السرائر والقلوب ، وقال تعالى ﴿أَفَلَا يعلم إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ [العاديات: ٨-١٠] ، فاحرص يا أخي على طهارة قلبك قبل طهارة جوارحك كم من إنسان يصلي ويصوم ويتصدق ويحج لكن قلبه فاسد وهاهم الخوارج حدَّث عنهم النبي عليه الصلاة والسلام أنهم يصلون ويصومون ويتصدقون ويقرأون القرآن ويقومون الليل ويبكون ويتهجدون ويحقر الصحابي صلاته عند صلاتهم لكن قال النبي - عليه الصلاة والسلام - لا يجاوز إيمانهم حناجرهم لا يدخل الإيمان قلوبهم ، مع

(١) الأنساب للسمعاني : ٢/ ٢٠٤.

أنهم صالحو الظواهر ، لكن ما نفعهم فلا تغتر بصلاح جوارحك وانظر قبل كل شيء إلى قلبك . أسأل الله أن يصلح قلبي وقلوبكم . إنتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.[1]

---

(1) شرح رياض الصالحين : حديث ٣٩٣

الحديث السادس

إيمان اللسان وإيمان القلب

عَنْ أَبِى بَرْزَةَ الأَسْلَمِىِّ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ ؛ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِى بَيْتِهِ).[1]

شرح الحديث :[2]

قوله ﷺ : (يَا مَعْشَر مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُل الْإِيمَان قَلْبه) : فِيهِ تَنْبِيه عَلَى أَنَّ غِيبَة الْمُسْلِم مِنْ شِعَار الْمُنَافِق لَا الْمُؤْمِن .

وقوله ﷺ : (وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتهمْ) : أَيْ لَا تَجَسَّسُوا عُيُوبهمْ وَمَسَاوِيهمْ .

وقوله ﷺ : (يَتَّبِع اللَّه عَوْرَته) : ذَكَرَهُ عَلَى سَبِيل الْمُشَاكَلَة أَيْ يَكْشِف عُيُوبه وَهَذَا فِي الْآخِرَة. وَقِيلَ مَعْنَاهُ يُجَازِيه بِسُوءِ صَنِيعه .

وقوله ﷺ : (يَفْضَحهُ) : أَيْ يَكْشِف مَسَاوِيه .

وقوله ﷺ : (فِي بَيْته) : أَيْ وَلَوْ كَانَ فِي بَيْته مُخْفِيًّا مِنْ النَّاس . انتهى .

---

(١) سنن أبي داود – كتاب الأدب – باب في الغيبة : ح/ ٤٨٨٢. قال الهيثمي : "رجاله ثقات" مجمع الزوائد : ح/ ١٣١٤١ . وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني : ح/ ٢٣٤٠.

(٢) عون المعبود العظيم آبادي : ٩/ ٢١٦٠. وشرح سنن أبي داود للشيخ العباد– دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

قال الشيخ العباد : هذا يدل على أن من يفعل مثل هذه الأفعال عنده نقص في الإيمان أو نفاق؛ لأن قول الله عز وجل في الآية: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات:١٤] فسرت بتفسيرين: فمنهم من قال: إن المقصود بها أناس منافقون، وهذا هو الذي مشى عليه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ ، ومنهم من قال : إن المقصود بهم ليسوا منافقين ، وإنما هم مؤمنون ناقصو الإيمان ، فعندهم ضعف في الإيمان وليسوا من المنافقين ، أي : أنهم لم يتمكن الإيمان في قلوبهم . وعلى أي حال فإن هذا الخطاب وذكر مثل هذا الكلام معناه أن من اتصف بمثل هذه الصفة فيه ضعف في الإيمان ، أو نفاق . ثم ذكر أن الجزاء من جنس العمل فقال : (فإن من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته) أي : أنه تحصل له الفضيحة ولو كان في بيته .

ومن هنا فإن إيمان اللسان وحده لا ينفع صاحبه إن خلا من إيمان القلب ، فلا بد أن يتوافق إيمان اللسان مع إيمان القلب والجوارح .

الحديث السابع

إن الله لا يستجيب من قلب غافل لاه

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ).(١)

شرح الحديث :

فحضور القلب وتحقق النية ركن من أركان القربات كلها ، لا سيما العبادات ، فبه تتميز العبادات عن العادات ، والقربات عن المباحات .

وقد جاءت أهمية حضور القلب في العبادات في أحاديث كثيرة :

ففي حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ : كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِى فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِىٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ). قَالَ فَقُلْتُ مَا أَجْوَدَ هَذِهِ. فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَىَّ يَقُولُ الَّتِى قَبْلَهَا أَجْوَدُ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ إِنِّى قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا قَالَ

---

(١) سنن الترمذي – أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ – باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ: ح/ ٣٤٧٩. وقال: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ سَمِعْت عَبَّاسًا الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ اكْتُبُوا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْجُمَحِيِّ فَإِنَّهُ ثِقَةٌ" ، والحاكم : ح/ ١٧٧١ ، وقال : "مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة"، وقال الشيخ الألباني : حسن لغيره. صحيح وضعيف الترغيب والترهيب: ١٦٥٣.

(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ – أَوْ فَيُسْبِغُ – الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ؛ إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ).[1]

(١) صحيح مسلم – كتاب الطهارة – باب الذكر المستحب عقب الوضوء : ح/ ٥٧٦.

الحديث الثامن

الدعاء بصلاح القلب

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو (رَبِّ أَعِنِّى وَلاَ تُعِنْ عَلَيَّ ، وَانْصُرْنِى وَلاَ تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَامْكُرْ لِي وَلاَ تَمْكُرْ عَلَيَّ ، وَاهْدِنِى وَيَسِّرْ هُدَاىَ إِلَيَّ ، وَانْصُرْنِى عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِى لَكَ شَاكِرًا ، لَكَ ذَاكِرًا ، لَكَ رَاهِبًا ، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوْ مُنِيبًا ، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِى ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِى ، وَأَجِبْ دَعْوَتِى ، وَثَبِّتْ حُجَّتِى ، وَاهْدِ قَلْبِى ، وَسَدِّدْ لِسَانِى ، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِى).[1]

شرح الحديث :

قوله ﷺ (حوبتي) : أي الإثم .

وقوله ﷺ (مخبتًا) : الخاشع المتواضع .

وقوله ﷺ (سخيمة) : أي الغل والحقد والحسد ونحوها ، مما يسكن في القلب من مساوئ الأخلاق .

وقوله ﷺ (اسلل) : أخرج .[2]

---

(١) سنن أبي داود – كتاب الصلاة – باب تفريع أبواب الوتر – باب ما يقول الرجل إذا سلم: ح/ ١٥١٢. والترمذي – أبواب الدعاء – باب دعاء النبي ﷺ : ح/ ٣٥٥١، وقال: حسن صحيح. وهو في صحيح سنن أبي داود للألباني : ح/ ١٣٥٣.

(٢) عون المعبود : ٤/ ٣٧٧.

فانظر كم كان يهتم النبي ﷺ لأمر قلبه ، وقلبه قد نُزع منه حظ الشيطان ، فكيف بقلوب سواه من بني آدم !!

وقد جاء الدعاء بصلاح القلب في أحاديث كثيرة :

ففي حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه صلى في الليل ودعا وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : (اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَاجْعَلْ لِي نُورًا).[1]

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : (... وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ...)[2].

وفي حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ كان النبي ﷺ يقول: (... اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا).[3]

وفي حديث أَبِى أَحْمَدَ شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِى دُعَاءً قَالَ : (قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِى ، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِى، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِى ، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِى ، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّى).[1]

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري- كتاب الدعوات- باب الدعاء إذا انتبه بالليل: ح/ ٦٣١٦.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري- كتاب الدعوات- باب التعوذ من المأثم ..: ح/ ٦٣٦٨.

(٣) صحيح مسلم – كتاب الذكر والدعاء والتوبة – باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل : ح/ ٧٠٨١.

وفي **حديث** شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ قَالَ قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ قَالَتْ كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ (يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ – قَالَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ – إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ فَتَلَا مُعَاذٌ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾.[٢]

وفي **حديث** عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : وَكَانَ يُعَلِّمُنَا كَلِمَاتٍ (اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا ، وَأَبْصَارِنَا ، وَقُلُوبِنَا ، وَأَزْوَاجِنَا ، وَذُرِّيَّاتِنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ ، مُثْنِينَ بِهَا قَابِلِيهَا ، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا).[٣]

---

(١) سنن أبي داود – كتاب الصلاة – باب تفريع أبواب الوتر – باب في الاستعاذة : ح/ ١٥٥٣، والترمذي – أبواب الدعوات – باب ما جاء في عقد التسبيح باليد : ح/ ٣٤٩٢ ، وقال: "حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ"، ورمز له السيوطي (ح) . الجامع الصغير من حديث البشير النذير : ح/ ١٥٠٩ . وهو في صحيح أبي داود : ح/ ١٥٥١ .

(٢) سنن الترمذي – أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ : ح/ ٣٥٢٢، وقال الترمذي : وَفِي الْبَاب عَنْ عَائِشَةَ وَالنَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ وَأَنَسٍ وَجَابِرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَنُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. ورمز له السيوطي (ح) . الجامع الصغير: ح/ ٦٨٢٢ .

(٣) البخاري – كتاب الاستئذان – باب : السلام اسم من أسماء الله تعالى : ح/ ٦٢٣٠ ، ومسلم – كتاب الصلاة – باب التشهد في الصلاة : ح/ ٩٢٤ ، واقتصرا على ذكر التشهد ،

هذا كله – وغيره كثير – يُبَيِّنُ خطر القلب ، وضرورة الاستعانة بالله على صلاحه، فندعو الله لأن يصلح قلوبنا آمين.

وأبو داود واللفظ له – كتاب الصلاة – باب تفريع أبواب الركوع والسجود – باب التشهد : ح/ ٩٧١. وهذه الزيادة ليست في الصحيحين ، ورمز لها السيوطي : (ح) ، وأخرجها الحاكم في مستدركه – كتاب الإمامة : ح/ ٩٣٢ ، وصححه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

الحديث التاسع

الرجل يتعلق قلبه في المساجد فيكون في ظل الله يوم القيامة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ؛ الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ).[١]

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله) قال القاضي : إضافة الظل إلى الله تعالى إضافة ملك ، وكل ظل فهو لله وملكه وخلقه وسلطانه، والمراد هنا ظل العرش كما جاء في حديث آخر مبينًا ، والمراد يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين ودنت منهم الشمس ، واشتد عليهم حرها ، وأخذهم العرق، ولا ظل هناك لشيء إلا للعرش ، وقد يراد به هنا ظل الجنة وهو نعيمها ، والكون فيها كما قال تعالى ﴿ وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ قال القاضي: وقال ابن دينار : المراد بالظل هنا الكرامة والكنف والكف من المكاره في ذلك الموقف ،

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري – كتاب الأذان – أبواب صلاة الجماعة والإمامة – باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد : ح/ ٦٦٠.

قال : وليس المراد ظل الشمس . قال القاضي : وما قاله معلوم في اللسان ، يقال فلان في ظل فلان ، أي في كنفه وحمايته ، قال وهذا أولى الأقوال، وتكون إضافته إلى العرش لأنه مكان التقريب والكرامة وإلا فالشمس وسائر العالم تحت العرش وفي ظله .

وقوله ﷺ : (الإمام العادل) قال القاضي : هو كل من إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين ، من الولاة والحكام ، وبدأ به لكثرة مصالحه وعموم نفعه ، ووقع في أكثر النسخ الإمام العادل ، وفي بعضها الإمام العدل ، وهما صحيحان .

وقوله ﷺ : (وشاب نشأ في عبادة الله) في جميع النسخ (نشأ بعبادة الله) والمشهور في روايات هذا الحديث (نشأ في عبادة الله) وكلاهما صحيح ، ومعنى رواية الباء نشأ متلبسًا للعبادة أو مصاحبًا لها أو ملتصقًا بها .

وقوله ﷺ : (ورجل قلبه معلق في المساجد) ومعناه شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها ، وليس معناه دوام القعود في المسجد .

وقوله ﷺ : (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) معناه اجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله ، أي كان سبب اجتماعهما حب الله ، واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما .

وفي هذا الحديث الحث على التحاب في الله وبيان عظم فضله ، وهو من المهمات ، فان الحب في الله والبغض في الله من الإيمان .

وقوله ﷺ : (ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) قال القاضي : يحتمل قوله أخاف الله باللسان ، ويحتمل قوله في قلبه ليزجر نفسه ، وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها ، وعُسر حصولها ، وهي جامعة للمنصب والجمال لا سيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها ، فالصبر عنها لخوف الله تعالى وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المراتب وأعظم الطاعات، فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله . وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف . ومعنى دعته : أي دعته إلى الزنى بها هذا هو الصواب في معناه . وذكر القاضي فيه احتمالين أصحهما هذا ، والثاني أنه يحتمل أنها دعته لنكاحها فخاف العجز عن القيام بحقها ، أو أن الخوف من الله تعالى شغله عن لذات الدنيا وشهواتها .

وقوله ﷺ : (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) وفي هذا الحديث فضل صدقة السر . قال العلماء : وهذا في صدقة التطوع فالسر فيها أفضل ، لأنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء ، وأما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل ، وهكذا حكم الصلاة فإعلان فرائضها أفضل ، وإسرار نوافلها أفضل ، لقوله ﷺ (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة).

قال العلماء : وذكر اليمين والشمال مبالغة في الإخفاء والاستتار بالصدقة ، وضرب المثل بهما لقرب اليمين من الشمال وملازمتها لها ، ومعناه لو قدرت الشمال رجلاً متيقظًا لما علم صدقة اليمين لمبالغته في الإخفاء . ونقل القاضي عن بعضهم أن المراد مَنْ عن يمينه وشماله من الناس ، والصواب الأول .

وقوله ﷺ : (ورجل ذكر الله تعالى خاليًا ففاضت عيناه) فيه فضيلة البكاء من خشية الله تعالى ، وفضل طاعة السر ، لكمال الاخلاص فيها.[١]

(١) شرح النووي على صحيح مسلم : ٧/ ١٢١ – ١٢٣ باختصار. وانظر شرحه في عمدة القاري : ٥/ ١٨٠.

الحديث العاشر

طلب يقين القلب وطمأنينته

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ (نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾. وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِى السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لأَجَبْتُ الدَّاعِىَ).[١]

شرح الحديث :

معناه أن الشك يستحيل في حق إبراهيم ، فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقًا إلى الانبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم ، وقد علمتم أني لم أشك ، فاعلموا أن إبراهيم لم يشك .

وإنما خص إبراهيم لكون الآية قد يسبق منها إلى بعض الأذهان الفاسدة إحتمال الشك ، وإنما رجح إبراهيم على نفسه تواضعًا وأدبًا ، أو قبل أن يعلم أنه خير ولد آدم .

وقال صاحب "التحرير" : يقع لي فيه معنيان :

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قوله عز وجل : ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا : ح/ ٣٣٧٢ .

أحدهما : أنه خرج مخرج العادة في الخطاب فإن من أراد المدافعة عن إنسان قال للمتكلم فيه ما كنت قائلاً لفلان أو فاعلاً فيه من مكروه فقله لي وافعله معي ، ومقصوده لا تقل ذلك .

والثاني : أن معناه هذا الذي تظنونه شكًا أنا أولى به ، فإنه ليس بشك وإنما طلب لمزيد اليقين . إنتهى.[1]

يستفاد من الحديث أن طلب يقين القلب وطمأنينته واجب . وقد اجتهد الصحابة والتابعون ﷺ في طلب طمأنينة القلب ، واستجلاب اليقين إليه ، ونفي الشك والشُبه عنه، وذلك بالسؤال عما يشكل عليهم ويلتبس عليهم ويسبب لهم الريبة والشك :

عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ : وَقَعَ فِى نَفْسِى شَىْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِى بِشَىْءٍ لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِى ؟. فَقَالَ : لَوْ أَنَّ اللهَّ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ ؛ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِى سَبِيلِ اللهَّ ، مَا قَبِلَهُ اللهُّ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ. قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ مَسْعُودٍ

---

(١) شرح النووي على مسلم : ٢/ ١٨٣، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي: ١/ ١٧٢.

فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ - قَالَ - ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ - قَالَ - ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِى عَنِ النَّبِىِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ .[1]

---

(١) سنن أبي داود- كتاب السنة- باب في القدر: ح/ ٤٧٠١. وصحيح ابن حبان - كتاب الرقائق - باب الورع والتوكل - ذكر الإخبار عما يجب على المرء من تسليم الأشياء إلى بارئه: ح/ ٧٢٧، وقال الألباني : صحيح. مشكاة المصابيح: ح/ ١١٥.

الحديث الحادي عشر

إذا وقع القرآن في القلب نفع

عَنْ أَبِى وَائِلٍ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءً ؟ ﴿ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ أَوْ ﴿ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ ﴾ قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : وَكُلَّ الْقُرْآنِ قَدْ أَحْصَيْتَ غَيْرَ هَذَا !! قَالَ إِنِّى لأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِى رَكْعَةٍ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِى الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ ، إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ ، إِنِّى لأَعْلَمُ النَّظَائِرَ الَّتِى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ سُورَتَيْنِ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ.[1]

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (لا يجاوز تراقيهم) جمع ترقوة بالفتح وهي العظم بين النحر والعاتق وهو كناية عن عدم القبول والصعود في موضع العرض .

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم – كتاب صلاة المسافرين – باب ترتيل القراءة : ح/ ١٩٤٥.

وقال النووي : معناه أن قومًا يقرأون وليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم وليس ذلك هو المطلوب بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب . أ.هـ[1]

ومن هنا لا بد من قراءة القرآن بالقلب قبل اللسان، لأنه القرآن أعظم وسائل إصلاح القلب .

وفي حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ قَالَ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ .[2]

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا المباركفوري : ٣/ ١٧٧. شرح النووي على مسلم : ٦/ ١٠٥.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري – كتاب تفسير القرآن – سورة البقرة – سورة والطور : ح/ ٤٨٥٤.

الحديث الثاني عشر

اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ).[1]

شرح الحديث :

قال ابن بطال رحمه الله : فيه الحض على الألفة والتحذير من الفرقة في الدين، فكأنه قال : اقرءوا القرآن والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه ، أي فإذا عرض عارض شبهة توجب المنازعة الداعية إلى الفرقة فقوموا عنه : أي فاتركوا تلك الشبهة الداعية إلى الفرقة ، وارجعوا إلى المحكم الموجب للألفة ، وقوموا للاختلاف وعما أدى إليه وقاد إليه ، لا أنه أمر بترك قراءة القرآن باختلاف القراءات التي أباحها لهم ، لأنه قال لابن مسعود والرجل الذى أنكر عليه مخالفته له في القراء : (كلاكما محسن) ، فدل أنه لم ينهه عما جعله فيه محسنًا ، وإنما نهاه عن الاختلاف المؤدى إلى الهلاك بالفرقة في الدين.[2].

وهذا الحديث يُبين أهمية الألفة بين القلوب ، وضرورة ترك المنازعات والخلافات التي تنجم عن المتشابه من الآيات والنصوص والمسائل الشرعية .

---

(١) متفق عليه وهذا لفظ البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم : ح/ ٥٠٦٠.

(٢) شرح ابن بطال على البخاري : ١٠/ ٢٨٥.

الحديث الثالث عشر

إثم القلب ومؤاخذته في بعض أعماله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى مُدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ ؛ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاِسْتِمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلاَمُ ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ)[١].

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (كتب على ابن آدم) أي قضى عليه وأثبت في اللوح المحفوظ .

وقوله ﷺ : (نصيبه من الزنا) أي مقدماته من التمني والتخطى لأجله والتكلم فيه طلباً أو حكاية ونحو ذلك وهو (مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه) أي بالإتيان بما هو المقصود من ذلك أو بالترك ولما كانت المقدمات من حيث كونها طلائع تؤذن بوقوع ما هي وسيلة إليه سمى ترتب المقصود عليها وعدم ترتبه صدقاً وكذباً [٢].

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم - كتاب القدر - باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا: ح/ ٦٩٢٥.

(٢) فيض القدي للمناوي : ٤/ ٧١٧.

فالقلب يأثم في بعض المواطن على ما يستقر فيه من تصورات فاسدة وكتمان حق ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

الحديث الرابع عشر

رفع الإثم عن حزن القلب

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ : (يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ) ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ).[1]

شرح الحديث :

قال ابن بطال: هذا البكاء تفسير البكاء المباح والحزن الجائز، وذلك ما كان بدمع العين ورقة النفس، ولم يكن تسخطًا لأمر الله، إذ الفُطَرْ -جمع فِطْرَة- مجبولةٌ على الحزن، وقد قال الحسن البصري: العين لا يملكها أحد .

وقال النووي : ظن بعضهم أن جميع أنواع البكاء حرام، وأنه عليه الصلاة والسلام نسي، فاعلمه عليه الصلاة والسلام أن مجرد البكاء ودمع العين ليس

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري - كتاب الجنائز - باب قول النبي ﷺ : "إنا بك لمحزونون" : ح/ ١٣٠٣.

بحرام ولا مكروه، بل هو رحمةٌ وفضيلة، وإنما المحرم النوح والندب والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما.[1]

(١) شرح ابن بطال على البخاري : ٣/ ٢٨٧ ، شرح النووي على مسلم : ٦/ ٢٢٥.

الحديث الخامس عشر

استفت قلبك، ولله واعظٌ في قلب كل مسلم

عن وَابِصَةَ الْأَسَدِيِّ ﷺ قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَدَعَ شَيْئًا مِنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَفْتُونَهُ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّاهُمْ. قَالُوا إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : دَعُونِي فَأَدْنُوَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ ، قَالَ : (دَعُوا وَابِصَةَ ، ادْنُ يَا وَابِصَةُ) مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . قَالَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ: (يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ أَوْ تَسْأَلُنِي ؟) قُلْتُ لَا بَلْ أَخْبِرْنِي . فَقَالَ : (جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ؟) فَقَالَ نَعَمْ . فَجَمَعَ أَنَامِلَهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِنَّ فِي صَدْرِي وَيَقُولُ : (يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ – الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ) [1].

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ) أي اطلب الفتوى منه ، وفيه إيماء إلى بقاء قلب المخاطب على أصل صفاء فطرته وعدم تدنسه بشيء من آفات الهوى الموقعة فيما لا يرضى ، ثم بين نتيجة الاستفتاء وأن فيه بيان ما سأل عنه فقال (البرّ

---

(١) مسند أحمد : ح/ ١٨٠٠٦ ، وهو حسن لغيره . صحيح الترغيب والترهيب : ح/ ١٧٣٤.

ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب) أي نفسه وقلبه إن كان من أهل الاجتهاد ، وإلا فليسأل المجتهد فيأخذ ما اطمأنت إليه نفسه وسكن إليه قلبه ، فإن لم يوجد شيء من ذلك فليترك ما التبس عليه من مطلوبه ولم يدر حله وحرمته.

قَالَ الْغَزَالِيُّ : وَاسْتِفْتَاءُ الْقَلْبِ إِنَّمَا هُوَ حَيْثُ أَبَاحَ الشَّيْءَ ، أَمَّا حَيْثُ حُرِّمَ فَيَجِبُ الِامْتِنَاعُ ، ثُمَّ لَا يُعَوَّلُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ ، فَرُبَّ مُوَسْوَسٍ يَنْفِي كُلَّ شَيْءٍ ، وَرُبَّ مُسَاهِلٍ نَظَرَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلَا اعْتِبَارَ بِهَذَيْنِ الْقَلْبَيْنِ ، وَإِنَّمَا الِاعْتِبَارُ بِقَلْبِ الْعَالِمِ الْمُوَفَّقِ الْمُرَاقِبِ لِدَقَائِقِ الْأَحْوَالِ ، فَهُوَ الْمِحَكُّ الَّذِي تُمْتَحَنُ بِهِ حَقَائِقُ الصُّوَرِ، وَمَا أَعَزَّ هَذَا الْقَلْبَ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ : هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ يُعْرَفُ فِي شَأْنِهِ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ مَا عَسَى يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَوْ يُحَدِّثُ عَلَى لِسَانِ مَلَكٍ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ : (قَدْ كَانَ يَكُونُ فِى الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، فَإِنْ يَكُ فِى أُمَّتِى أَحَدٌ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ).[1] وَقَدْ رُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : يَعْنِي يُلْقَى فِي رَوْعِهِ.

---

(١) صحيح البخاري – كتاب المناقب – باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ : ح/ ٣٦٨٩.

تَنْبِيهٌ: لَا يَخْفَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا فِي غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ ، وَإِلَّا فَمِنْ جُمْلَةِ طُرُقِ الْوَحْيِ الْإِلْهَامُ .(١)

وقد جعل الله لكل مسلم واعظًا في قلبه يهديه : عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ ؛ قَالَ وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَى ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ)(٢).

(١) انظر شرحه : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديق الشافعي : ٥/ ٢٧ ، والبحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين الزركشي : ٤/ ٤٠٢ ، وشعب الإيمان للبيهقي : ح/ ٥٣٥٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الإيمان - وأما حديث أشعث بن جابر : ح/ ٢٧٧، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَا أَعْرِفُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ، وسنن الترمذي - أبواب الأمثال عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في مثل الله لعباده : ح/ ٢٨٥٩ ، ببعضه ، وقال : "حسن غريب" . ومسند أحمد : ح/ ١٧٦٧١ ، وقال الأرنؤوط : "حسن صحيح وهذا إسناد حسن".

الحديث السادس عشر

انكار القلب المنكر أضعف الإيمان

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلاَةِ مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : الصَّلاَةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. فَقَالَ قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخدري ﷺ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ).[1]

شرح الحديث :

فإنكار القلب منجاة للمسلم من أن يلحقه إثم ، وهو أقل ما يجب عليه .

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَا مِنْ نَبِىٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِى أُمَّةٍ قَبْلِى إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ).[2]

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان : ح/ ١٨٦.

(٢) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان : ح/ ١٨٨.

وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ أَنْكَرَ). قَالَ أَبُو دَاوُدَ قَالَ هِشَامٌ[١]: (بِلِسَانِهِ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ). فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نَقْتُلُهُمْ ؟ قَالَ ابْنُ دَاوُدَ : (أَفَلاَ نُقَاتِلُهُمْ). قَالَ : (لاَ مَا صَلَّوْا).[٢]

(١) هو ابْنِ حَسَّانَ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع - حديث: ٣٥٣٥ : ح/ ٤٩٠٧ ، وأبو داود - كتاب السنة - باب في قتل الخوارج : ح/ ٤٧٦٢، واللفظ له .

الحديث السابع عشر

ثلاثة لا يُغِّل عليهن قلب رجل مسلم

عن عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (نَضَّرَ اللهُّ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهَّ ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ).[١]

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (ثلاث) أي ثلاث خصال ، أو خصال ثلاث.

وقوله ﷺ : (لا يُغِلُّ) بكسر الغين وتشديد اللام على المشهور، والياء تحتمل الضم والفتح ، فعلى الأول من أغل إذا خان ، وعلى الثاني من غل إذا صار ذا حقد وعداوة .

وقوله ﷺ : (عليهن) أي على تلك الخصال الثلاث .

وقوله ﷺ : (قلب مسلم) أي كامل و(عليهن) في موضع الحال، أي حال كونه ثابتاً وكائناً عليهن ، أي مادام المؤمن على هذه الخصال الثلاث لا يدخل في قلبه خيانة أو حقد يمنعه من تبليغ العلم، فينبغي له الثبات على هذه الخصال حتى لا يمنعه شيء من التبليغ، وبهذا ظهر مناسبة هذه الجملة بما قبلها.

---

(١) سنن الترمذي - أبواب العلم عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع: ح/ ٢٦٥٨. وقال الألباني : "صحيح". المشكاة : ح/ ٢٢٨.

وقوله ﷺ : (إخلاص العمل لله) أي منها أو إحداها ، يعني جعل العمل خالصاً لله لا لغيره من رياء وتحصيل جاه ومال.

وقوله ﷺ : (والنصيحة) هي إرادة الخير للمنصوح له.

وقوله ﷺ : (ولزوم جماعتهم) أي موافقة المسلمين في الاعتقاد، والعمل الصالح، والصلاة الجماعة، والجمعة، والعيدين، وطاعة الأمراء المسلمين، وغير ذلك .

وقوله ﷺ : (فإن دعوتهم تحيط) أي تدور (من ورائهم)

وقوله ﷺ : (فإن دعوتهم) في معرض التعليل، والتقدير: ولا يقصرن أحد في لزوم جماعتهم؛ لأن دعوتهم تدور من ورائهم وتحويهم وتحفظهم عن كيد الشيطان وعن الضلالة، فلا ينبغي لأحد أن يجعل نفسه محرومة من بركتهم. إنتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ .

قال ابن حجر: ووجه المناسبة بين قوله: (ثلاث) المستأنف، وما قبله أنه – عليه الصلاة والسلام – لما حرَّض سامع سننه على أدائها ؛ بيَّن أن هناك خصالاً من شأنه أن ينطوي قلبه عليها ، لأن كلاً منها محرض له على ذلك التبليغ . انتهى.[1]

---

(1) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري : ١/ ٣٢٧، وحاشية السندي على سنن ابن ماجه : ١/ ٢١٤ .

الحديث الثامن عشر

طلب سلامة القلب وترك المشتبهات مخافة إنكار القلوب

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ ؟ قَالَ : (نَعَمْ) قُلْتُ : فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ ؟ قَالَ : (إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ) قُلْتُ : فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا ؟ قَالَ : (فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ).[1]

شرح الحديث :

قوله ﷺ (عن الجَدْر) وفي رواية (الجدار). قال الخليل (الجدر) لغة في الجدار. والمراد الحِجْر .

وقوله ﷺ (أمن البيت هو قال نعم) هذا ظاهره أن الحِجْر كله من البيت .

وقوله ﷺ (ألم تري) أي ألم تعرفي .

وقوله ﷺ (قصرت بهم النفقة) بتشديد الصاد أي النفقة الطيبة التي أخرجوها لذلك ، وذلك لما تواصوا به على ألا يدخلوا فيه من كسبكم إلا الطيب ولا يدخلوا فيه مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس.

---

(١) متفق عليه وهذا لفظ البخاري – كتاب الحج – باب فضل مكة وبنيانها : ح/ ١٥٨٤.

وقوله ﷺ (ليدخلوا) عن عائشة : فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط.

وقوله ﷺ (حديث عهدهم بجاهلية) في رواية (عهد بكفر) .

وقوله ﷺ (فأخاف أن تنكر قلوبهم) وفي رواية : (تنفر) نقل ابن بطال عن بعض علمائهم أن النفرة التي خشيها ﷺ أن ينسبوه إلى الإنفراد بالفخر دونهم.

وقوله ﷺ (أن أدخل الجدر) أي أخاف إنكار قلوبهم إدخال الحجر . انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ .[1]

فانظر كيف خشي النبي ﷺ على قلوبهم من الإنكار والإنتكاس والردة ، فترك هذا الأمر لأجل ذلك ، ولا شك أن هذا فيما لا يجب من الأفعال ، وأما إن تعلق بأمر واجب ، فإنه مأمور بفعله مع استخدام الحكمة والموعظة الحسنة في ايصاله للناس ، ولا يجوز ترك عملٍ واجب خشية انكار الناس ، وهذا معلوم بالضرورة .

ومثاله في حرص النبي ﷺ على سلامة القلوب : حديث عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ فَقَامَ مَعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ نَفَذَا فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : (عَلَى رِسْلِكُمَا) قَالَا سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ ! وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ . فَقَالَ رَسُولُ

---

[1] فتح الباري لابن حجر : ٣/ ٤٤٣ ، وانظر: تحفة الأحوذي : ٣/ ٥٢٤.

اللهِ ﷺ (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا)[1].

(١) متفق عليه وهذا لفظ صحيح البخاري - كتاب الاعتكاف - باب : هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد : ح/ ٢٠٣٥.

الحديث التاسع عشر

من سأل الله الشهادة من قلبه صادقًا

عن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ سَأَلَ اللهَّ الشَّهَادَةَ مِنْ قَلْبِهِ صَادِقًا ؛ بَلَّغَهُ اللهُّ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ).[١]

شرح الحديث :

وهذا حديث فيه أهمية النية الصالحة ، التي محلها القلب ، فبصدق القلب يتحصل المرء على ثواب من باشر العمل بجوارحه فعلاً ، وهذا كما في الصحيح : (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا ، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا ، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ . قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ؟ قَالَ : وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ).[٢]

فهذا الحديث فيه الجهاد بالنية .

وابن القيم رحمه الله ذكر أن الجهاد أنواع ، ومنه الجهاد بالنية ، وهذا دليله ، وأن الرسول ﷺ قال: (إلا كانوا معكم) معناه : أنهم يحصلون الأجر والثواب بنيتهم وقصدهم الطيب الحسن ، وهذا كله عمل القلب . قال : (وهم بالمدينة حَبَسَهُمُ العُذْرُ)، وكانوا معه بأرواحهم، وبدار الهجرة بأشباحهم ، وهذا مِن

(١) صحيح مسلم – كتاب الإمارة – باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى : ح/ ٥٠٣٩.

(٢) صحيح البخاري – كتاب المغازي – باب نزول النبي ﷺ الحجر : ح/ ٤٤٢٣.

الجهاد بالقلب ، وهو أحد مراتبه الأربع ، وهى القلب ، واللِّسان ، والمال ، والبدن . وفى الحديث: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَقُلُوبِكُم وأَمْوالِكُم).[1]

وقد جاء ذلك في أحاديث كثيرة ، تنبه على أهمية ما في القلب من إخلاص العبادة لله تعالى وإن قلَّت :

منها : عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : (إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللهُّ أَكْبَرُ اللهُّ أَكْبَرُ. فَقَالَ أَحَدُكُمُ اللهُّ أَكْبَرُ اللهُّ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ. قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهَّ. قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهَّ. ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ. قَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهَّ. ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ. قَالَ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهَّ. ثُمَّ قَالَ اللهُّ أَكْبَرُ اللهُّ أَكْبَرُ. قَالَ اللهُّ أَكْبَرُ اللهُّ أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ. قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)[2].

وكذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ الله : مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : (لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي (يَسْأَلَنِي) عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى

---

(١) زاد المعاد لابن القيم : ٣/ ٥٧١. والحديث في مسند أحمد بن حنبل : ح/ ١٢٥٥٥ ، بلفظ: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) ، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح مسلم – كتاب الصلاة – باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه : ح/ ٨٧٦.

الْحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)[١].

فتنبه يا أخي إلى صِدقِ القلب في كل عمل وفي كل قول وفي كل توَجُّه - يغفر الله لي ولك-.

(١) صحيح البخاري - كتاب العلم - باب الحرص على الحديث : ح/ ٩٩.

الحديث العشرون

قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ). ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ؛ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ).[1]

شرح الحديث :

وهذا حديث جليل يُبيِّن عظمة خلق الله ، فقلوب بني آدم جميعًا أولهم وآخرهم، عربهم وعجمهم ، أسودهم وأبيضهم ، كبيرهم وصغيرهم ، كلها بين إصبعيه كقلب واحد ، يقلبه كيف يشاء .

كما يُبين حقيقة القلب في كثرة تقلبه ، فمن القلوب من يصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا ، فندعوا الله مصرِّف القلوب أن يصرِّف قلوبنا إلى طاعته ، آمين.

قال المناوي : قوله ﷺ (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين) أي هو سبحانه قادر على تقليب القلوب باقتدار تام كما يقال فلان بين أصبعي ، ويراد به كمال التصرف فيه، فهو تمثيل، أو أراد بالأصبعين الداعيتين ، لأن القلب صالح

---

(١) صحيح مسلم – كتاب القدر – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء : ح/ ٦٩٢١.

لميله إلى الإيمان والكفر ، ولا يميل لأحدهما إلا عند حدوث داعية وإرادة يحدثها الله تعالى .

قال الطيبي : وفي جمع القلوب إشعار برأفته ورحمته على أمته .

وقوله ﷺ : (من أصابع الرحمن) نسب تقلب القلوب إليه تعالى ، إشعارا بأنه تولى بنفسه أمر قلوبهم ، ولم يكله لأحد من ملائكته ، وخص الرحمن تعالى بالذكر إيذانًا بأن ذلك لم يكن إلا لمحض رحمته وفضل نعمته ، كي لا يطلع أحد غيره على سرائرهم ، ولا يكتب عليهم ما في ضمائرهم. ذكره القاضي .

وقوله ﷺ : (كقلب واحد يصرفه حيث) وفي رواية (كيف يشاء) أي يتصرف في جميع قلوبهم كتصرفه في قلب واحد ، لا يشغله قلب عن قلب ، أو معناه كتصرف واحد منكم في قلب واحد ، فهو إشارة إلى تمام قدرته على تصريفها ، ولا يشغله شأن عن شأن . إنتهى.[1]

ومثله حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ).[2]

وهذا حديث خطير الشأن ، بالغ الأثر ، ترتعد منه فرائص الصالحين ، وترتجف منه قلوب المتقين ، فهو يبين حقيقة القلب في كثرة تقلبه ، وكثرة تحوله ،

(١) فيض القدير للمناوي : ٢/ ٦٠٣.

(٢) سنن ابن ماجه – المقدمة - باب في القدر : ح/ ٨٨. ورمز له السيوطي : (ح) . الجامع الصغير من حديث البشير النذير : ح/ ٨١٣٥. وقال الألباني : "صحيح" . صحيح وضعيف ابن ماجه : ح/ ٧١ ، والمشكاة : ح/ ١٠٣.

بأنه كالريشة في خفتها ، تحركها الرياح الشديدة في مكان خال ليس فيه عمران ، فإن تحركها بالرياح في العمران أقل منه في الأرض الخالية.

ومنه حديث الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ﷺ قال : لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ ، يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ وَمَا سَمِعْتَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنْ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا).(١)

وقد ارتعد الصحابة من تقلب قلوبهم ، فإذا كانوا عند رسول الله كانوا في حال من قوة الإيمان واليقين ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلب حالهم إلى حال آخر ، حتى شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فهدَّأ من روعهم حينما أخبرهم بأن الأمر ساعة وساعة :

فعَنْ حَنْظَلَةَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَعَظَنَا فَذَكَّرَ النَّارَ - قَالَ - ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلاَعَبْتُ الْمَرْأَةَ - قَالَ - فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذْكُرُ. فَلَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ نَافَقَ حَنْظَلَةُ فَقَالَ (مَهْ). فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَأَنَا قَدْ

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ح/ ٢٣٨١٧ . وأخرجه الحاكم - كتاب التفسير - ومن سورة آل عمران : ح/ ٣٠٩٨ . وقال : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " ، ووافقه الذهبي . وقال الأرنؤوط : حديث حسن وهذا إسناد ضعيف لضعف فرج .

فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فَقَالَ (يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ)[1].

فلما عرفوا حقيقة الأمر، هدأت نفوسهم، وسلموا أمورهم لله تعالى في تثبيت قلوبهم.

وقد أنشد بعضهم شعرًا قال:

ما سمي القلب قلبًا إلا لتقلبه ❊❊❊ فاحذر على القلب من قلبٍ وتقليبِ

فنسأل الله السلامة .

(١) صحيح مسلم – كتاب التوبة – باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك : ح/ ٧١٤٣.

الحديث الواحد والعشرون

القلب الرحيم في الجنة

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِى خُطْبَتِهِ (... وأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِى قُرْبَى وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ ، - قَالَ - وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِى لاَ زَبْرَ لَهُ ؛ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَتْبَعُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً ، وَالْخَائِنُ الَّذِى لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ ، وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِى إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ). وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ (وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ).(١)

شرح الحديث :

قوله ﷺ (زبر) : بفتح الزاي واسكان الموحدة ، أي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي ، وقيل هو الذى لا مال له ، وقيل الذى ليس عنده ما يعتمده.

وقوله ﷺ (لا يتبعون) : بالعين المهملة مخفف ومشدد من الاتباع ، وفى بعض النسخ (يبتغون) بالموحدة والغين المعجمة أي لا يطلبون .

(١) صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار : ح/ ٧٣٨٦.

وقوله ﷺ (الشنظير) : أي سيئ الخلق .[1]

فانظر كيف جعل الله صاحب القلب الرحيم من أهل الجنة ، وصاحب الغلظة والقسوة والفحش من أهل النار – أعاذنا الله تعالى وإياكم منها ، ورزقنا رقة القلب–.

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ).[2]

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً ، الْفِقْهُ يَمَانٍ ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ).[3]

---

(1) شرح النووي على مسلم : ١٧/ ١٩٩.

(2) متفق عليه واللفظ للبخاري – كتاب الأدب – باب رحمة الولد وتقبيله: ح/ ٥٩٩٨.

(3) صحيح البخاري – كتاب المغازي – باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن : ح/ ٤٣٩٠.

الحديث الثاني والعشرون

أبعد القلوب من الله القلب القاسي

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ أَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ : (الْإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا ، أَلَا إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ).[1]

شرح الحديث :

قال السيوطي : قوله ﷺ (الايمان يمان) أي منسوب إلى أهل اليمن لاذعانهم إلى الايمان من غير كلفة .

وقال العيني : قوله ﷺ (أشار رسول الله بيده نحو اليمن) لأنه كان بتبوك ، وقال هذا القول وأشار إلى ناحية اليمن ، وهو يريد مكة ، والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن، وقيل قال هذا القول وكان بالمدينة لأن كونها هو الغالب عليه ، وعلى هذا تكون الإشارة إلى سياق أهل اليمن .

وقال النووي : أشار إلى اليمن وهو يريد مكة والمدينة ، ونسبهما إلى اليمن لكونهما من ناحيته .

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري - كتاب بدء الخلق - باب : خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال : ح/ ٣٣٠٢.

قوله ﷺ (الإيمان يمان) إنما قال ذلك لأن الإيمان بدأ من مكة وهي من تهامة وتهامة من أرض اليمن ، ولهذا يقال الكعبة اليمانية ، وقيل إنما قال هذا القول للأنصار لأنهم يمانون وهم نصروا الإيمان والمؤمنين وآووهم فنسب الإيمان إليهم، وهذا غريب وأغرب منه قول الحكيم الترمذي أنه إشارة إلى أويس القرني، وقيل سبب الثناء على أهل اليمن إسراعهم إلى الإيمان وحسن قبولهم للبشرى حين لم يقبلها بنو تميم ، وفي رواية (أتاكم أهل اليمن ألين قلوبًا وأرق أفئدة) يريد بلين القلوب سرعة خلوص الإيمان في قلوبهم ، ويقال الفؤاد غشاء القلب والقلب جثته وسويداؤه ، فإذا رق الغشاء أسرع نفوذ الشيء إلى ما وراءه .

وقال أبو عبيد : إنما بدأ الإيمان من مكة لأنها مولده ومبعثه ثم هاجر إلى المدينة ، ويقال أن مكة من أرض تهامة وتهامة من أرض اليمن ، ولهذا سمى مكة وما وليها من أرض اليمن تهائم ، فمكة على هذا يمانية ، فإن قلت الإيمان يمان مبتدأ وخبر فكيف يصح حمل اليمان عليه ، قلت أصله الإيمان يماني بياء النسبة فحذفوا الياء للتخفيف ، كما قالوا تهامون وأشعرون وسعدون .

وقوله ﷺ (ألا إن القسوة وغلظ القلوب) قال السهيلي إنهما لمسمى واحد كقوله ﴿ إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ البث هو الحزن ، وقال القرطبي : القسوة يراد بها أن تلك القلوب لا تلين ولا تخشع لموعظة ، وغلظها عدم فهمها .

وقوله ﷺ (في الفدادين) بالتشديد جمع فداد ، وهو الشديد الصوت ، وبالتخفيف جمع الفدان وهو آلة الحرث ، وإنما ذم أهله لأنه يشتغل عن أمر الدين ويكون معها قساوة القلب .

وقوله ﷺ (عند أصول أذناب الإبل) أي أنهم يبعدون عن الأنصار فيجهلون معالم دينهم قاله الداودي .

وقوله ﷺ (حيث يطلع قرنا الشيطان) أي جانبا رأسه ، وقال الخطابي ضرب المثل بقرني الشيطان فيما لا يحمد من الأمور ، والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد تسلط من الشيطان ومن الكفر .

وقوله ﷺ (في ربيعة ومضر) يتعلق بقوله ﷺ في الفدادين ، أي المصوتين عند أذناب الإبل ، وهو في جهة المشرق حيث هو مسكن هاتين القبيلتين ربيعة ومضر. قال الكرماني : يحتمل أن يكون في ربيعة ومضر بدلاً من الفدادين ، وعبر عن المشرق بقوله ﷺ (حيث يطلع قرنا الشيطان) وذلك أن الشيطان ينتصب في محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين قرني رأسه أي جانبيه فتقع السجدة حين تسجد عبدة الشمس لها .[1]

وقد ذكر النبي ﷺ في العديد من الأحاديث أسباب قسوة القلوب ، منها :

منها حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : (لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهَّ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهَّ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ اللهَّ الْقَلْبُ الْقَاسِي).[2]

---

(١) انظر شرحه : شرح النووي على مسلم : ٢/ ٣٢، التيسير للمناوي : ١/ ٨٦٩، وعمدة القاري للعيني: ١٥/ ١٩٢.

(٢) سنن الترمذي – أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ : ح/ ٢٤١٢، وهو ضعيف . السلسلة الضعيفة : ح/ ٩٢٠.

وفي حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِىِّ ﷺ حينما بعث إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلاَثُمِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ ، فَقَالَ أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ ، فَاتْلُوهُ وَلاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِى الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ ، فَأُنْسِيتُهَا غَيْرَ أَنِّى قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا لَوْ كَانَ لاِبْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ ، وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ فَأُنْسِيتُهَا غَيْرَ أَنِّى حَفِظْتُ مِنْهَا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِى أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.(١)

(١) صحيح مسلم – كتاب الزكاة – باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا : ح/ ٢٤٦٦.

الحديث الثالث والعشرون

من خير مال المرء قلب شاكر

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أُنْزِلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا أُنْزِلَ ، لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ ؟ فَقَالَ : (أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ).[١]

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (فقال بعض أصحابه نزلت في الذهب والفضة) أي ما نزلت أو نزلت هذه الآية في الذهب والفضة وعرفنا حكمها ومذمتها .

وقوله ﷺ : (لو علمنا) لو للتمني (أي المال خير) لعلمنا .

وقوله ﷺ : (فنتخذه) اللفظ للترمذي. ولفظ أحمد : فقال بعض أصحابه قد نزل في الذهب والفضة ما نزل فلو أنا علمنا أي المال خير اتخذناه. قيل : السؤال وإن كان عن تعيين المال ظاهراً ، لكنهم أرادوا ما ينتفع به عند تراكم الحوائج ، فلذلك أجاب عنه بما أجاب ففيه شائبة عن الجواب عن أسلوب الحكيم .

---

(١) سنن الترمذي – أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ – باب : ومن سورة التوبة : ح/ ٣٠٩٤، وقال: قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني : ح/ ١٤٩٩.

وقوله ﷺ : (فقال أفضله) أي أفضل المال أو أفضل ما يتخذه الإنسان قنية .

وقوله ﷺ : (لسان ذاكر) أي بتحميد الله تعالى وتقديسه وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده وتلاوة القرآن .

وقوله ﷺ : (وقلب شاكر) أي على إنعامه وإحسانه .

وقوله ﷺ : (وزوجة مؤمنة) قال الطيبي : الضمير في أفضله راجع إلى المال على التأويل بالنافع ، أي لو علمنا أفضل الأشياء نفعاً فنقتنيه ، ولهذا السر استثنى الله من أتى الله بقلب سليم من قوله : ﴿ مال ولا بنون ﴾ [الشعراء : ٨٨]، والقلب إذا سلم من آفاته شكر الله تعالى ، فسرى ذلك إلى لسانه فحمد الله وأثنى عليه ، ولا يحصل ذلك إلا بفراغ القلب ومعاونة رفيق يعينه في طاعة الله – انتهى.

ولهذا قال (تعينه على إيمانه) أي على دينه بأن تذكره الصلاة والصوم وغيرهما من العبادات ، وتمنعه من الزنا وسائر المحرمات .

قال السندي : عد المذكورات من المال لمشاركتها للمال أي في ميل قلب المؤمن إليها وإنها أمور مطلوبة عنده ، ثم عدها من أفضل الأموال لأن نفعها باق ونفع سائر الأموال زائل ، وبالجملة فالجواب من أسلوب الحكيم للتنبيه على أن هم المؤمن ينبغي أن يتعلق بالآخرة فيسأل عما ينفعه ، وإن أموال الدنيا كلها لا تخلو عن الشر . انتهى .

قال القاري : ظاهر كلام الطيبي إن القلب مقدم على اللسان في نسخته فبنى عليه ما ذكر ، وإلا فيقال إذا ذكر الله بلسانه سرى ذلك إلى جنانه ، فشكر على إحسانه ، فقدر الله تعالى له مؤنسة تعينه على إيمانه – انتهى.

قلت –المباركفوري-: وقع في رواية ابن ماجه وكذا في رواية لأحمد بتقديم القلب على اللسان ولفظهما عن ثوبان. قال : لما نزل في الفضة والذهب ما نزل. قالوا فأي المال نتخذ قال عمر أنا أعلم ذلك لكم ، قال فأوضع على بعير فأدركه وأنا في أثره فقال يا رسول الله ! أي المال نتخذ ؟ قال : (ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة)[1].

---

(1) مرعاة المفاتيح للمباركفوري : ٧/ ٤١٠. وحاشية السندي على ابن ماجة : ح/ ١٨٤٦.

الحديث الرابع والعشرون

الكرم قلب المؤمن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَيَقُولُونَ الْكَرْمُ ! إِنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ).[1]

شرح الحديث :

فقد نهى النبي ﷺ عن قولهم "الكرم" وذلك لأن هذه اللفظة "الكرم" تدل على كثرة الخير والمنافع في المسمى بها وقلب المؤمن هو المستحق لذلك دون شجرة العنب.[2]

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري - كتاب الأدب - باب قول النبي ﷺ: " إنما الكرم قلب المؤمن : ح/ ٦١٨٣.

(٢) فيض القدير للمناوي : ٦/ ٥٢٣.

الحديث الخامس والعشرون

لا تختلفوا فتختلف قلوبكم

عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِى الصَّلاَةِ وَيَقُولُ : (اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ، لِيَلِنِى مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ). قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلاَفًا.[1]

شرح الحديث :

قال ابن الجوزي: أي أنكم إذا اختلفتم بالظواهر عوقبتم باختلاف القلوب ، ويحتمل : لا تختلفن ظواهركم فإن اختلافها دليل على اختلاف قلوبكم.

وفي "شرح المشكاة" :

قوله ﷺ (فتختلف قلوبكم) أي أهويتها وإرادتها ، أي اختلاف الصفوف سبب لاختلاف القلوب يجعل الله كذلك.

وقيل : لأن اختلاف الصفوف اختلاف الظواهر ، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن.

وفيه أن القلب تابع للأعضاء ، فإذا اختلفت اختلف ، وإذا اختلف فسد ففسدت الأعضاء ؛ لأنه رئيسها المتبوع وملكها المطاع والأعضاء كلها تبع له ،

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب تسوية الصفوف : ح/ ١٠٠٠.

فإذا صلح المتبوع صلح التبع ، وإذا استقام الملك استقامت الرعية . ويُبَيِّن ذلك الحديث المشهور: (ألا إن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد ، وإذا فسدت فسد الجسد ، ألا وهي القلب).

وقيل: إن بين القلب والأعضاء تعلقاً عجيباً وتأثيراً غريباً بحيث أنه يسري مخالفة كل إلى الآخر ، وإن كان القلب مدار الأمر إليه . أ. هـ[1]

وفي **حديث** النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قال : أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ (أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ). ثَلاَثًا (وَاللَّهِ لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ). قَالَ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَرُكْبَتَهُ بِرُكْبَةِ صَاحِبِهِ وَكَعْبَهُ بِكَعْبِهِ.[2]

---

(١) انظر شرحه : كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي : ١/ ٤٣٨. تحفة الأحوذي : ٢/ ١٧. المرعاة للمباركفوري : ٤/ ٨ .

(٢) البخاري ومسلم وأبو داود واللفظ له – كتاب الصلاة – تفريع أبواب الصفوف – باب تسوية الصفوف : ح/ ٦٦٢.

الحديث السادس والعشرون

ضرب القلوب بعضها ببعض إذا رضيت بالمنكر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ ، فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ). ثُمَّ قَالَ ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ فَاسِقُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ (كَلاَّ وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَىِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا).(١)

شرح الحديث :

قوله ﷺ (أكيله وشريبه وقعيده) الأكِيل والشَّريب والقَعيد : المؤاكل والمشارب ، والمقاعد: المجالس ، وهذا البناء فَعيل بمعنى مفاعل .

وقوله ﷺ (لتقصرنه) : القصر : الحبس ، يقال : قصرتُ نفسي على الشيء ، أي : حبستها عليه .

(١) سنن أبي داود – كتاب الملاحم – باب الأمر والنهي : ح/ ٤٣٣٨ . والترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب ، رغم اشارته إلى الانقطاع بين أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود وأبيه ، قال الألباني : ضعيف . السلسلة الضعيفة : ١١٠٥ .

قوله ﷺ (تأطرنه) : تعطفه عليه وتوجهه إليه .

قال أبو الطيب في عون المعبود : قوله ﷺ (ضَرَبَ اللهَّ قُلُوب بَعْضهمْ بِبَعْضٍ): يُقَال ضَرَبَ اللَّبَن بَعْضه بِبَعْضٍ أَيْ خَلَطَهُ. ذَكَرَهُ الرَّاغِب .

وَقَالَ اِبْن الْمَلَك رَحِمَهُ اللهُ الْبَاء لِلسَّبَبِيَّةِ ، أَيْ سَوَّدَ اللهَّ قَلْب مَنْ لَمْ يَعْصِ بِشُؤْمِ مَنْ عَصَى ، فَصَارَتْ قُلُوب جَمِيعهمْ قَاسِيَة بَعِيدَة عَنْ قَبُول الْحَقّ وَالْخَيْر أَوْ الرَّحْمَة ، بِسَبَبِ الْمَعَاصِي وَمُخَالَطَة بَعْضهمْ بَعْضًا اِنْتَهَى .

وقَالَ الْقَارِي : وَقَوْله " قَلْب مَنْ لَمْ يَعْصِ " لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقه لِأَنَّ مُؤَاكَلَتهمْ وَمُشَارَبَتهمْ مِنْ غَيْر إِكْرَاه وَإِلْجَاء بَعْد عَدَم اِنْتِهَائِهِمْ عَنْ مَعَاصِيهمْ مَعْصِيَة ظَاهِرَة ؛ لِأَنَّ مُقْتَضَى الْبُغْض فِي اللهَّ أَنْ يَبْعُدُوا عَنْهُمْ وَيُهَاجِرُوهُمْ اِنْتَهَى .

قُلْت –أي أبو الطيب-: مَا قَالَ الْقَارِي حَقّ صُرَاح . أ. هـ[١]

ويشهد لصحة معناه قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨-٧٩].

وكذلك الحديث الصحيح عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) قَالَ عَنْ خَالِدٍ وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ

---

(١) انظر شرحه : تحفة الأحوذي لأبي العلا المباكفوري: ٨/ ٣٢٨ ، عون المعبود للعظيم الآبادي : ٩/ ١٤٤٧، و١١/ ٤٨٧.

يَعُمَّهُمُ اللهُّ بِعِقَابٍ). وَقَالَ عَمْرٌو عَنْ هُشَيْمٍ وَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ (مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِى ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لاَ يُغَيِّرُوا إِلاَّ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُّ مِنْهُ بِعِقَابٍ). قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَاهُ كَمَا قَالَ خَالِدٌ أَبُو أُسَامَةَ وَجَمَاعَةٌ. وَقَالَ شُعْبَةُ فِيهِ (مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِى هُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ).[1]

فحري بكل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، بقدر ما يستطيع ، معذرة إلى الله ، وخشية الدخول في هذا الوعيد !!

---

[1] سنن أبي داود – كتاب الملاحم – باب الأمر والنهي : ح/ ٤٣٤٠. رمز له السيوطي (صح) الجامع الصغير من حديث البشير النذير : ح/ ٢١٣٦. وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني : ح/ ٢٣١٧.

الحديث السابع والعشرون

إنه ليغان على قلبي

عَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِىِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِى وَإِنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِى الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ).[1]

شرح الحديث :

قوله ﷺ (يغان) : يغطى .

وهذا الحديث يبين أهمية الاستغفار في جلاء القلوب .

وقد أشكل على العلماء معنى " الغان " على قلب النبي ﷺ في حين أنه معصوم من الكبائر والصغائر !!

قال السيوطي في " الديباج " : قوله ﷺ (إنه ليغان على قلبي) المختار أن هذا من المتشابه الذي لا يخاض في معناه ، وقد سئل عنه الأصمعي فقال : لو كان قلب غير النبي ﷺ لتكلمت عليه ، ولكن العرب تزعم أن الغين الغيم الرقيق.

وقال الكلاباذي في " بحر الفوائد " : الغين : شيء يغشى القلب ، فيغطيه بعض التغطية ، ولا يحجبه عما يشاهده ، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء ، فلا يكاد يحجب عين الشيء ، ولا يمنع ضوءها ، والنبي ﷺ ذكر أنه يغشى قلبه ما هذه صفته ، وذكر أنه يستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة ، فتكلم شيوخ الصوفية وكبارهم في معنى هذا الحديث ، فمنهم من أجلَّ قدر المصطفى ﷺ عن

---

[1] صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه : ح/ ٧٠٣٣.

الحجبة ، وأشار إلى أنه كان ينقل من حال إلى ما هو أرفع منه ، فإذا رفع إلى درجة، رأى ما نقل عنها تقصيرًا في واجب حق الله تعالى ، فرأى ذلك عيبًا يجب له الاستغفار منه . أ. هـ

وقال أبو العلا المباركفوري في " تحفة الأحوذي " : المراد من الغين فترات عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه فإذا فتر عنه لأمر ما عدَّ ذلك ذنبًا فاستغفر عنه ، ومنها قول بن الجوزي : "هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد ، والأنبياء وإن عصموا من الكبائر فلم يعصموا من الصغائر " كذا قال . وهو مفرع على خلاف المختار ، والراجح عصمتهم من الصغائر أيضًا. ومنها قول ابن بطال : الأنبياء أشد الناس اجتهادًا في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة ، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير . انتهى .

ومحصل جوابه أن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل أو شرب أو جماع أو نوم أو راحة ، أو لمخاطبة الناس والنظر في مصالحهم ، ومحاربة عدوهم تارة ، ومداراته أخرى ، وتأليف المؤلفة ، وغير ذلك مما يحجبه عن الإشتغال بذكر الله والتضرع إليه ومشاهدته ومراقبته ، فيرى ذلك ذنبًا بالنسبة إلى المقام العلي وهو الحضور في حظيرة القدس ، ومنها أن الاستغفار تشريع لأمته ، أو من ذنوب الأمة ، فهو كالشفاعة لهم . انتهى .(١)

---

(١) الديباج للسيوطي : ٦/ ٥٨، بحر الفوائد للكلاباذي : ح/ ١٧٠ ، تحفة الأحوذي للمباركفوري : ٩/ ١٠٣ ، فتح الباري لابن حجر: ١١/ ١٠١.

الحديث الثامن والعشرون

من يطبع على قلبه

عَنْ أَبِى الْجَعْدِ الضَّمْرِىِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ (مَنْ تَرَكَ ثَلاَثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ).[1]

وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ (لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ).[2]

شرح الحديث :

قوله: (تهاونًا بها) أي: كسلاً واستهتارا بها.

وقوله: (طبعَ الله على قلبه) أي: ختم عليه وغشاه ومنعه ألطافه . والطبع- بالسكون-: الختمَ ، وبالتحريك : الدنَس ؛ وأصله من الوسخ والدنس يغشيان السيْف ، يُقال : طبِع السيفُ يطبعَ طبعًا ، ثم استعمل فيما يُشبه ذلك من الأوْزار والآثام وغيرهما من المقابح. أ.هـ

وقوله ﷺ (من ترك) أي ممن تجب عليه .

---

(١) سنن أبي داود - كتاب الصلاة - تفريع أبواب الجمعة - باب التشديد في ترك الجمعة : ح/ ١٠٥٤. وسنن الترمذي - أبواب الجمعة - باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر : ح/ ٥٠١ ، وقال حديث حسن . والحاكم - كتاب الجمعة : ح/ ٩٨٥ وقال " صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " . ووافقه الذهبي .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب التغليظ في ترك الجمعة ح/ ٢٠٣٩ .

وقوله ﷺ (ثلاث جُمَع) قال الباجي: وأما اعتبار العدد في الحديث فانتظار للفيئة وإمهال منه تعالى عبده للتوبة.

قال الشوكاني: يحتمل أن يراد حصول الترك مطلقاً ، سواء توالت الجمعات أو تفرقت ، حتى لو ترك في كل سنة جمعة لطبع الله على قلبه بعد الثالثة، وهو ظاهر الحديث . ويحتمل أن يراد ثلاث جمع متوالية ؛ لأن موالاة الذنب ومتابعته مشعرة بقلة المبالاة به-انتهى.

قلت - المباركفوري - : الاحتمال الثاني هو المتعين لما تقرر في الأصول من حمل الروايات المطلقة على المقيدة ، ويؤيد حديث أنس ما رواه أبو يعلى برجال الصحيح عن ابن عباس: (من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره). قال الشوكاني: هكذا ذكره موقوفاً ، وله حكم الرفع ؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي ، كما قال العراقي.

وقوله ﷺ (تهاوناً بها) قيل : المراد بالتهاون الترك من غير عذر ، فيكون مفعولاً مطلقاً للنوع ، وقيل : هو مفعول له . وقيل : هو مصدر في موضع الحال أي متهاوناً . قال في اللمعات : الظاهر أن المراد بالتهاون التكاسل وعدم الجد في أدائه وقلة الاهتمام به ، لا الإهانة والاستخفاف ، فإن الاستخفاف بفرائض الله كفر ، وفيه أن الطبع المذكور إنما يكون على قلب من ترك ذلك تهاوناً ، فينبغي أن تحمل الأحاديث المطلقة على هذا الحديث المقيد بالتهاون ، وكذلك تحمل الأحاديث المطلقة على المقيدة بعدم العذر .

وقوله ﷺ (طبع الله على قلبه) : أي ختم عليه وغشاه ومنعه الألطاف ، أو صير قلبه قلب منافق – والعياذ بالله – .[1]

(١) شرح سنن أبي داود للعيني : ٤/ ٣٧٢ ، شرح السيوطي لسنن النسائي : ٣/ ٨٨ ، فيض القدير للمناوي : ٦/ ١٣٣.

الحديث التاسع والعشرون

المعاصي تنكت في القلب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .[1]

شرح الحديث :

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْهَرَوِيُّ : (النُّكْتَةُ) الْأَثَرُ الصَّغِيرُ مِنْ أَيِّ لَوْنٍ كَانَ ، وَوَصْفُهَا بِالسَّوَادِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَلْوَانِ الْكُفْرِ .

وقوله ﷺ : (إن المؤمن إذا أذنب) أي ذنبًا . كما في رواية الحاكم .

وقوله ﷺ : (نكتة) أي حدثت من الذنب نكتة .

وقوله ﷺ : (سوداء) والنكتة النقطة السوداء في الأبيض ، أو البيضاء في الأسود والأثر الحاصل من نكت الأرض وشبع الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما .

وقوله ﷺ : (في قلبه) أي حصلت في قلبه أثر قليل كالنقطة تشبه الوسخ في صقيل كالمرآة والسيف ونحوهما .

---

(١) سنن الترمذي – أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ – باب ومن سورة ويل للمطففين : ح/ ٣٣٣٤ ، وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وهو في صحيح ابن حبان – كتاب الجمعة – ذكر وصف طبع الله جل وعلا على قلب التارك للجمعة على ما وصفنا : ح/ ٢٧٨٧ .

وقال القاري : أي كقطرة مداد تقطر في القرطاس ، ويختلف على حسب المعصية وقدرها ، والحمل على الحقيقة أولى من جعله من باب التمثيل والتشبيه ، حيث قيل شبه القلب بثوب في غاية النقاء ، والبياض والمعصية بشيء في غاية السواد أصاب ذلك الأبيض ، فبالضرورة أنه يذهب ذلك الجمال منه . وكذلك الإنسان إذا أصاب المعصية صار كأنه حصل ذلك السواد في ذلك البياض – انتهى .

وقوله ﷺ (فإن تاب) أي من الذنب .

وقوله ﷺ (واستغفر) أي : وسأل الله المغفرة ، ووقع في المسند ، وابن ماجة ، والمستدرك لفظ : (نزع بعد) تاب ، وقيل : استغفر أي أقلع عن ذلك وتركه .

وقوله ﷺ : (صقل قلبه) من صقله جلاه من باب نصر أي : محا الله تلك النكتة عن قلبه فينجلي ، ويحتمل أن يكون على بناء الفاعل وضميره راجع إلى التائب . والمعنى نظف وصفى مرآة قلبه ، لأن التوبة بمنزلة المصقلة تمحو وسخ القلب وسواده حقيقيًا أو تمثيليًا .

وقوله ﷺ : (وإن زاد) أي في الذنب بعينه أو بغيره من الذنوب .

وقوله ﷺ : (زادت) أي النكتة السوداء أو يظهر لكل ذنب نكتة .

وقوله ﷺ : (حتى تعلو) أي تغلب النكت ، وفي المسند يعلو بالمثناة التحتية أي يغلب سواد تلك النكتة ، على (قلبه) أي تغطية وتغمرة وتستر سائره ، ويصير كله ظلمة فلا يعي خيرًا ولا يبصر رشدًا ، ولا يثبت فيه صلاح .

وفي رواية الترمذي : (وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه) يعني : وإن عاد إلى ما اقترفه أو عاد في الذنب والخطيئة زيد في النكتة السوداء نكتة أخرى ، وهكذا حتى تطفئ تلك النكت نور قلبه فتعمى بصيرته .

وقوله ﷺ : (فذلكم الران) والذي في المسند (ذلك الرين) وفي الترمذي (وهو الران) ، والرين والران سواء كالذيم والذام والعيب والعاب ، وأصل الرين الطبع والتغطية والدنس ، وهو أيضًا الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة . قال أبو عبيد : كل ما غلبك وعلاك فقد ران بك ورانك وران عليك ﴿ كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾ أي : غلب واستولى عليها ﴿ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي : ما اكتسبوه من الذنوب .

وقال الحافظ ابن كثير : أي ليس الأمر كما زعموا ، ولا كما قالوا : إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ . وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ، والرين يعتري قلوب الكافرين ، والغيم للأبرار والغين للمقربين -.[1]

---

(١) المنتقى شرح الموطأ : ٤/ ٤٥٦ ، مرعاة المفاتيح : ٨/ ٤١ -٤٢، تحفة الأحوذي : ٩/ ١٧٨، تفسير ابن كثير : ١٤/ ٢٨٥ .

الحديث الثلاثون

كثرة الضحك تميت القلب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟) فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ : (اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ).[١]

شرح الحديث :

قوله ﷺ (اتق المحارم) أي احذر الوقوع فيما حرّم الله عليك .

وقوله ﷺ (تكن أعبد الناس) أي من أعبدهم ، لأنه يلزم من ترك المحارم فعل الفرائض .

وقوله ﷺ (وارض بما قسم الله لك) أي أعطاك .

وقوله ﷺ (تكن أغنى الناس) فإن من قنع بما قسم له ولم يطمع فيما في أيدي الناس استغنى عنهم ليس الغنى بكثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس .

وقوله ﷺ (وأحسن إلى جارك) أي مجاورك بالقول والفعل .

---

[١] سنن الترمذي – أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ – باب : من اتقى المحارم فهو أعبد الناس : ح/ ٢٣٠٥ ، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني : ح/ ٩٣٠.

وقوله ﷺ (تكن مؤمنًا) أي كامل الإيمان .

وقوله ﷺ (وأحب للناس ما تحب لنفسك) من الخير .

وقوله ﷺ (تكن مسلمًا) كامل الإسلام بأن تحب لهم حصول ما تحبه لنفسك من جهة لا يزاحمونك فيها .

وقوله ﷺ (ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) أي تصَيِّره مغمورًا في الظلمات بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها مكروهًا وهذا من جوامع الكلم .[1]

(١) التيسير للمناوي : ١/ ٥٣ ، تحفة الأحوذي : ٦/ ٤٨٦.

الحديث الواحد والثلاثون

الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى ؟) قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : (فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ ؟) قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ : (إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ) ...(١)

شرح الحديث :

قال ابن بطال : معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال ، لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتى ، فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه ، فكأنه فقير لشدة حرصه ، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس ، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي ، ولم يحرص على الازدياد ، ولا ألح في الطلب فكأنه غني .

وقال القرطبي : معنى الحديث أن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غني النفس ، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح ، أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه ، فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال

(١) صحيح ابن حبان - كتاب الرقائق - باب الفقر - ذكر كتبة الله جل وعلا الحسنة للمسلم الفقير الصابر: ح/ ٦٨٥ ، وقال الشيخ شعيب : "إسناده صحيح على شرط مسلم". وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني : ٣٢٠٣.

لدناءة همته وبخله ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم ، فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل ، والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعًا بما رزقه الله لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ، ولا يلح في الطلب ولا يلحف في السؤال ، بل يرضى بما قسم الله له فكأنه واجد أبدًا ، والمتصف بفقر النفس على الضد منه ، لكونه لا يقنع بما أُعطى ، بل هو أبدًا في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه ، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف فكأنه فقير من المال ، لأنه لم يستغن بما أُعطى ، فكأنه ليس بغني ، ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره علمًا بأن الذي عند الله خير وأبقى ، فهو معرض عن الحرص والطلب ، وما أحسن قول القائل :

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة *** فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرًا.[(١)]

ومنه حديث عَمْرُو بْنِ تَغْلِبَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَمَهُ فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : (أَمَّا بَعْدُ فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي ، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ) فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ .[(٢)]

---

(١) تحفة الأحوذي : ٧/ ٣٥ ، فتح الباري لابن حجر : ١١/ ٢٧٢.

(٢) صحيح البخاري– كتاب الجمعة– باب من قال في الخطبة بعد الثناء : أما بعد: ح/ ٩٢٣.

الحديث الثاني والثلاثون

لا يزال قلب الكبير شابًا على اثنتين

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ ؛ فِي حُبِّ الدُّنْيَا ، وَطُولِ الْأَمَلِ).[1]

وفي رواية عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ (قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ حُبِّ الْعَيْشِ وَالْمَالِ).[2]

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (قلب الكبير) أي : الشيخ .

وقوله ﷺ : (في اثنتين) أي : في خصلتين .

وقوله ﷺ : (شاباً) سماه شاباً لقوة استحكامه في محبة المال .

وقوله ﷺ : (وطول الأمل) : المراد بالأمل هنا طول العمر .

قال ابن حجر : وفي الأمل سرٌ لطيف ، لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش ، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا ، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه ، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة ، فمن سلم من ذلك لم يُكلَّف بإزالته . أ.هـ[3]

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري – كتاب الرقاق – باب من بلغ ستين سنة : ح/ ٦٤٢٠.

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم – كتاب الزكاة – باب كراهة الحرص على الدنيا : ح/ ٢٤٥٧.

(٣) عمدة القاري للعيني : ٢٣/ ٣٦ ، فتح الباري لابن حجر : ١١/ ٢٣٧.

الحديث الثالث والثلاثون

يكون رجال قلوب شياطين في جثمان إنس !!

عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قال : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ : إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ: (نَعَمْ). قُلْتُ هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ قَالَ (نَعَمْ). قُلْتُ فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ (نَعَمْ). قُلْتُ كَيْفَ ؟ قَالَ (يَكُونُ بَعْدِى أَئِمَّةٌ ؛ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَاىَ ، وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِى ، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِى جُثْمَانِ إِنْسٍ). قَالَ قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ (تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ).[١]

شرح الحديث :

قال القاري : قوله ﷺ : (رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِى جُثْمَانِ إِنْسٍ) أي كقلوبهم في الظلمة والقساوة والوسوسة والتلبيس والآراء الكاسدة والأهواء الفاسدة .

قال ابن حجر : الذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه من الفتن الأولى ، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية ، وبالدخن ما كان في

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم – كتاب الإمارة – باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر : ح/ ٤٨٩١.

زمنهما من بعض الأمراء كزياد بالعراق ، وخلاف من خالف عليه من الخوارج ، وبالدعاة على أبواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم ، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ (إلزم جماعة المسلمين وإمامهم) يعني ولو جار ، ويوضح ذلك رواية أبي الأسود (ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك) وكان مثل ذلك كثيرًا في إمارة الحجاج ونحوه .

وقوله ﷺ : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) بكسر الهمزة أي أميرهم ، زاد في رواية أبي الأسود (تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك) وكذا في رواية خالد ابن سبيع عند الطبراني : (فإن رأيت خليفة فالزمه وإن ضرب ظهرك فإن لم يكن خليفة فالهرب) .

وقوله ﷺ : (ولو أن تعض) أي ولو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه، وفي رواية عبد الرحمن بن قرط عن حذيفة عند بن ماجة : (فلأن تموت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم) والجذل بكسر الجيم وسكون المعجمة بعدها لام عود ينصب لتحتك به الإبل .

وقوله ﷺ : (وأنت على ذلك) أي العض ، وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا .

قال البيضاوي : المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان ، وعضَّ أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة ، كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم ، أو المراد اللزوم كقوله ﷺ في الحديث

الآخر (عضوا عليها بالنواجذ) ، ويؤيد الأول قوله ﷺ في الحديث الآخر (فإن مت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم) .

وقال ابن بطال : فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور ، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم دعاة على أبواب جهنم ، ولم يقل فيهم تعرف وتنكر كما قال في الأولين ، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق ، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة .

قال الطبري : اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة :

فقال قوم هو للوجوب . والجماعة السواد الأعظم ، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصى من سأله لما قتل عثمان : عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة .

وقال قوم المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم .

وقال قوم المراد بهم أهل العلم ، لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين .

وقال الطبري : والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة ، قال : وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا فلا يتبع أحدًا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر ، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها .[1]

---

(1) فتح الباري لابن حجر : ١٣/ ٣٦ ، عمدة القاري للعيني : ٢٤/ ١٩٥ ، مرقاة المفاتيح

الحديث الرابع والثلاثون

ميل القلب

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ : (اللَّهُمَّ هَذَا فعلي فِيمَا أَمْلِكُ ، فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا لاَ أَمْلِكُ).[1] يَعْنِي الْقَلْبَ.

شرح الحديث :

قال ابن بطال : النبي ﷺ قد سأل ربه ألا يلومه فيه ما كان لا يملكه من نفسه ، وهو ما جبلت عليه القلوب من الميل بالمحبة إلى من هويته . وذلك مما لا سبيل للعباد إلى خلافه ودفعه عنه ، وهو المعنى الذى أخبر عنه تعالى أنهم لا يطيقونه من معانى العدل بين النساء ، فعلم بذلك أن كل ما كان عارضًا لقلب

للقاري : ١٥/ ٣٤٣ ، تحفة الأحوذي : ٦٦٦/ ٣٢١.

(١) سنن الترمذي - أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ - أبواب النكاح عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في التسوية بين الضرائر : ح/ ١١٤٠ ، وصحيح ابن حبان - كتاب الحج - باب القسم - ذكر ما كان يعدل المصطفى ﷺ في القسمة : ح/ ٤٢٠٥ ، واللفظ له ، والحاكم في المستدرك : ح/ ٢٧١١ ، واختلف فيه : قال الحاكم : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " ووافقه الذهبي في التلخيص ، ورجح الترمذي والدارقطني المرسل [نصب الراية : ٣/ ٢١٥]، وقال شعيب الأرنؤوط : "رجاله ثقات على شرط مسلم إلا أنه اختلف في وصله وإرساله ، والمرسل هو الصواب". وقال الألباني : " ضعيف " . [إرواء الغليل : ح/ ٢٠١٨]. وعلى أي حال ؛ إنما ذكرته هنا استئناسًا وتجوزًا على مذهب أهل السير والأخلاق والرقائق ، ومن يرى جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، خاصة لن لم يشتد ضعفه ، وهو يتوافق في معناه مع أصول الدين .

ابن آدم من شيء مال إليه بالمحبة والهوى مما لم يجتلبه المرء إليه باكتساب ولم يتجاوز به العارض منه في قلبه إلى ما يكرهه الله ولا يرضاه من العمل بجوارحه ، فلا حرج عليه فيه ولا تبعةٌ تلحقه فيه فيما بينه وبين الله ، بسبب ما عرض له من فرط هوى وصبابة نفس .

قال عبد الملك بن حبيب رَحِمَهُ اللهُ : ولما كان القلب لا يملك ولا يستطاع العدل فيه وضع الله عن عباده الحرج في ذلك . قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦].[1]

---

(١) شرح ابن بطال على البخاري : ٧/ ٣٤٥.

الحديث الخامس والثلاثون

الشيطان يدخل بين المرء وقلبه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدْبَرَ ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ ، فَيَقُولُ اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى لَا يَدْرِي أَثَلَاثًا صَلَّى أَمْ أَرْبَعًا ، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ ثَلَاثًا صَلَّى أَوْ أَرْبَعًا سَجَدَ سَجْدَتَي).[١]

شرح الحديث :

وهذا الحديث يُبيِّن أمرًا خطيرًا ، وهو ما أعطيه الشيطان –أعاذنا الله من شره– من قدرة على الدخول بين المرء ونفسه إذا ما غفل المرء عن ذكر الله تعالى. وهذا كما يُروى : (إنّ الشَّيْطانَ وَاضِعُ خَطْمَهُ على قَلْبِ ابن آدَمَ فإنْ ذَكَرَ اللهَّ تَعَالى خَنَسَ ، وإنْ نَسِيَ اللهَّ الْتَقَمَ قَلْبَهُ).[٢]

فالعلاج هو إدامة ذكر الله تعالى ، فإنه يطرد الوسواس من القلب ، ويحصن القلب من نزغات الشياطين .

وأما مسألة علم الشيطان بما في القلب من إرادة الشر والخير :

---

(١) متفق عليه اللفظ للبخاري – كتاب بدء الخلق – باب صفة إبليس وجنوده : ح/ ٣٢٨٥.

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا في كتاب التوبة : ح/ ٩٢ ، وَالْبَيْهَقِيُّ في شعب الإيمان : ح/ ٥٣٦ ، مِنْ طَرِيقِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ الله النُّمَيْرِيِّ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ ، ضَعَّفَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالذَّهَبِيُّ . انظر : اتحاف الخيرة المهرة : ح/ ٦٠٦٥.

قال أبو الحسن الأشعري في "مقالات الإسلاميين": اختلفوا هل يعلم الشيطان ما في القلوب أم لا ؟ على ثلاث مقالات :

فقال إبراهيم ومعمر وهشام ومن اتبعهم: إن الشياطين يعلمون ما يحدث في القلوب ، وليس ذلك بعجيب لأن الله عز وجل قد جعل عليه دليلاً ، ومحال أن يدخل الشيطان قلب الإنسان ، مثال ذلك أن تشير إلى الرجل : أقبل ، أو أدبر، فيعلم ما تريد ، فكذلك إذا فعل فعلاً عرف الشيطان كيف ذلك الفعل ، فإذا حدث نفسه بالصدقة والبر عرف ذلك الشيطان بالدليل ، فنهى الإنسان عنه ، هكذا حكى زرقان .

وقال آخرون من المعتزلة وغيرهم : إن الشيطان لا يعرف ما في القلب ، فإذا حدَّث الإنسان نفسه بصدقة أو بشيء من أفعال البر نهاه الشيطان عن ذلك على الظن والتخمين .[1]

والمسألة محل بحث عند العلماء ، وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله سؤالاً متعلقًا بهذا الموضوع ، جاء ضمنه قول السائل : إذا نويت عمل خير في قلبي هل يعلم به الشيطان ويحاول صرفي عنه ؟ فكان ضمن ما أجاب به الشيخ قوله : كل إنسان معه شيطان ومعه ملك ، كما قال النبي ﷺ ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، وأخبر ﷺ أن الشيطان يملي على الإنسان الشر ويدعوه إلى الشر ، وله لمةٌ في قلبه ، وله اطلاع – بتقدير الله – على ما يريده العبد وينويه من

[1] مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري : ٦٢.

أعمال الخير والشر ، والملك كذلك له لمةٌ بقلبه ، يملي عليه الخير ويدعوه إلى الخير، فهذه أشياء مكنهم الله منها ، أي مكن القرينين : القرين من الجن ، والقرين من الملائكة . اهـ.[1]

وقال قائلون : إن الشيطان يدخل في قلب الإنسان فيعرف ما يريد بقلبه . اهـ.

وقال الدكتور محمود عبد الرزاق في رسالته "مفهوم القدر والحرية عند أوائل الصوفية" : ويتساءل الحارث المحاسبي عما إذا كان الشيطان يعلم ما تحدث به النفس فيعارضها بالصد عن الخير ؟ ويقرر أن الشيطان طالت مقارنته للإنسان وتفقده لأحواله ، حتى لم يخف عليه حاله ، فعرف مطالبه ومذاهبه ، فعند كل خير صده عنه ، هذا من غير علم منه بما يحدث ، غير أنه علم أن خيرًا قد أحدثه العبد ، وكذلك يعلم أن شرًا قد أحدثه ، لا يعلم أي خير ولا أي شر . اهـ.[2]

---

(١) موقع الشيخ ابن باز على شبكة "الإنترنت" :

http://www.binbaz.org.sa/mat/٢١٥٢

(٢) المبحث الثالث : دوافع الإرادة وبواعثها عند الصوفية : نقلاً عن أعمال القلوب والجوارح للحارث المحاسبى ص ٨٠ – ٨٣ .

الحديث السادس والثلاثون

لا يجتمع في قلب امرئ الإيمان والحسد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهَّ وَفَيْحُ جَهَنَّمَ ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ).(1)

وفي رواية : (لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهَّ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي وَجْهِ رَجُلٍ أَبَدًا ، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا).(2)

شرح الحديث :

قوله: (وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا) :

قال التوربشتي : تأويل هذا الحديث أن نقول أراد به اجتماع الخصلتين فيه مع بلوغ النهاية منهما ، بحيث لا ينفك عنهما ، ولا ينفكان عنه ، ويوجد منه الرضاء بهما ، فأما الذي يؤنس عنه شيء من ذلك بحيث يبخل حيناً ويقلع عنه حيناً أو يسوء خلقه وقتاً دون وقت ، أو في أمر دون أمر ، أو يندر منه فيندم عليه أو يلوم نفسه أو تدعوه النفس إلى ذلك فينازعها فإنه بمعزل عن ذلك .

---

(1) مسلم والنسائي واللفظ له – السنن الصغرى – كتاب الجهاد – فضل من عمل في سبيل الله على قدمه : ح/ ٣٠٥٨.

(2) مسلم والنسائي واللفظ له – السنن الصغرى – كتاب الجهاد – فضل من عمل في سبيل الله على قدمه : ح/ ٣١١٠.

وقال : وأرى له وجهاً آخر ؛ وهو أن نقول الشح خلة غريزية جبل عليها الإنسان فهو كالوصف اللازم له ، ومركزها النفس قال تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ [النساء: ٣٢٨] فإذا انتهى سلطانه إلى القلب واستولى عليه عرى القلب عن الإيمان ، لأنه يشح بالطاعة فلا يسمح به ، ولا يبذل الانقياد لأمر الله تعالى ، والشح بخل مع حرص ، فهو أبلغ في المنع من البخل ، فالبخل يستعمل في الفتنة بالمال ، والشح في سائر ما يمتنع النفس عن الاسترسال فيه من بذل مال ، أو طاعة ، أو معروف ، ووجود الشح في نفس الإنسان ليس بمذموم ، لأنه طبيعة خلقها الله تعالى في النفوس ؛ كالشهوة والحرص للابتلاء ، ولمصلحة عمار العالم ، وإنما المذموم أن يستولي سلطانه على القلب – والله تعالى أعلم – انتهى.[1]

---

(١) مرعاة المفاتيح : ٦/ ٢٩٦.

الحديث السابع والثلاثون

الدنيا تزيغ القلوب

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ فَقَالَ : (أَالْفَقْرَ تَخَافُونَ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا صَبًّا ، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ ، وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ).(١)

شرح الحديث :

هذا الحديث فيه بشارة من النبي ﷺ للأمة بأن الله سيغنيهم من بعد فقرهم، ولكنه يحذرهم من هذا الغنى الذي يُنسي العباد عبادة ربهم ، فلا يزال حب الدنيا بهم حتى تزيغ القلوب بعد استقامتها ، و تضل بعد هداها ، وتكون الدنيا سبب فتنتهم .

وقوله ﷺ (حتى لا يزيغ قلب أحدكم إن أزاغه إلا هي) وهنا إشارة لأهمية القلب وضرورة تعاهده .

---

(١) سنن ابن ماجه - المقدمة - باب اتباع سنة رسول الله ﷺ : ح/ ٥. السلسلة الصحيحة للألباني : ح/ ٦٨٨.

وعن طريق القلب يكون التعلق بالدنيا ، فيتمنى ويشتهي ويطلب كل ما راق له ، وإذا أراد الإنسان إشباع الغريزة التي في القلب والسير على هواه ، فإنه يهلك ويُهلِك بقية الجوارح ، لأنه ملك والبقية جنود.(١)

ومثله حديث ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا). فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ (بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِى قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ). فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ (حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ).(٢)

الغثاء : ما يحمله السيل من زبد ووسخ .(٣)

(١) وقفات مع حديث (آلفقر تخافون؟) أيمن الشعبان . (موقع صيد الفوائد).

(٢) سنن أبي داود – كتاب الملاحم – باب في تداعي الأمم على الإسلام : ح/ ٤٢٩٩. وهو صحيح . المشكاة : ح/ ٥٣٦٩) ، الصحيحة : ح/ ٩٥٨ .

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير : ٣/ ٣٤٣.

الحديث الثامن والثلاثون

لين القلب وفيما يكون ؟

عن أبي الدرداء ﷺ قال أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه . قال: (أَتُحِب أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ ، وتُدْرِك حَاجَتُكَ : اِرْحَمْ الْيَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَه ، وَأَطْعِمْه مِنْ طَعَامِكَ ، يَلِن قَلْبَكَ وَتُدْرِك حَاجَتَك)[١].

وفيه حديث أنس بن مالك ﷺ (وَكُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ثُمَّ بَدَا لِي فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبِ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ فَزُورُوا وَلاَ تَقُولُوا هُجْرًا)[٢].

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (أتحبّ) استفهام أي أتودّ .

وقوله ﷺ : (أن يلين قلبك) أي يترطب ويسهل .

وقوله ﷺ : (وتدرك حاجتك) أي تطفر بمطلوبك .

---

(١) أخرجه الطبرانى كما في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٧) ومجمع الزوائد (٨/ ١٦٠) ، وقالا : في إسناده من لم يسم ، وبقية مدلس . وأخرجه أيضًا : عبد الرزاق في الجامع عن معمر (١١/ ٩٦ ، رقم ٢٠٠٢٩) . وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : ح/ ٢٥٤٤ ، وقال : حسن لغيره . وانظر تحقيقه في السلسلة الصحيحة : ح/ ٨٥٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب الجنائز : ح/ ١٣٤٢ . وقال الألباني : "بسند حسن" ، وأشار لمتابعات كثيرة وشواهده . انظر: أحكام الجنائز : ح/ ١١٨.

وقوله ﷺ : (ارحم اليتيم) الذي مات أبوه فانفرد عنه وذلك بأن تعطف عليه وتحنو حنوّا يقتضي التفضل والإحسان .

وقوله ﷺ : (وامسح رأسه) تلطفًا وإيناسًا أو بالدهن .

وقوله ﷺ : (وأطعمه من طعامك) أي مما تملكه من الطعام .

وقوله ﷺ : (يلن قلبك وتدرك حاجتك) أي فإنك إن أحسنت إليه وفعلت به ما ذكر يحصل لك لين القلب والظفر بالبغية .[1]

---

(١) التيسير للمناوي : ١/ ٤٤ .

الحديث التاسع والثلاثون

إذا وقعت امرأة في قلب رجل !

عن جَابِرٍ ﷺ قال سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : (إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ فَوَقَعَتْ فِى قَلْبِهِ ؛ فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِى نَفْسِهِ).[١]

شرح الحديث :

وفي هذا الحديث يُبين النبي ﷺ علاجًا لآفة الشهوة المغروزة في القلب ، والتي تتحرك عند رؤية النساء .

قال النووي رحمه الله : ومعنى الحديث أنه يستحب لمن رأى امرأة فتحركت شهوته أن يأتي امرأته أو جاريته إن كانت له ، فليواقعها ليدفع شهوته ، وتسكن نفسه ، ويجمع قلبه على ما هو بصدده .[٢]

(١) صحيح مسلم – كتاب النكاح – باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه : ح/ ٣٤٧٥.

(٢) شرح النووي على مسلم : ٩/ ١٧٨ .

الحديث الأربعون

اجتماع الرجاء والخشية في قلب العبد

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ : (كَيْفَ تَجِدُكَ ؟) قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ)..[1]

شرح الحديث :

قوله ﷺ : (وهو في الموت) أي في سكراته .

وقوله ﷺ : (كيف تجدك) قال ابن الملك : أي كيف تجد قلبك أو نفسك في الانتقال من الدنيا إلى الآخرة ، أراجياً رحمة الله أو خائفاً من غضب الله ؟ .

وقوله ﷺ : (أرجو الله) أي أجدني أرجو رحمته .

وقوله ﷺ : (وإني) أي مع هذا .

وقوله ﷺ : (أخاف ذنوبي) قال الطيبي : علق الرجاء بالله والخوف بالذنب ، وأشار بالفعلية إلى أن الرجاء حدث عند السياق .

وقوله ﷺ : (النزع) وبالاسمية والتأكيد بأن إلى أن خوفه كان مستمراً محققاً.

---

(١) سنن الترمذي – أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ : ح/ ٩٨٣. وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وابن ماجه – كتاب الزهد – باب ذكر الموت والاستعداد له : ح/ ٩٨٣ ، وقال الألباني : سنده حسن . أحكام الجنائز : ح/ ٢.

وقوله ﷺ : (لا يجتمعان) أي الرجاء والخوف .

وقوله ﷺ : (في مثل هذا الموطن) أي في هذا الوقت ، وهو زمان سكرات الموت ، ومثله كل زمان يشرف على الموت حقيقة أو حكماً ، كوقت المبارزة ، وزمان القصاص ، ونحوهما. فلا يحتاج إلى القول بزيادة المثل . وقال الطيبي: مثل زائدة ، والموطن إما مكان أو زمان كمقتل الحسين رضي الله تعالى عنه .

وقوله ﷺ : (ما يرجو) أي من الرحمة .

وقوله ﷺ : (وآمنه مما يخاف) أي من العقوبة بالعفو والمغفرة .

قال السندي : والحديث يدل على أنه ينبغي وجود الأمرين (الرجاء والخوف) على الدوام حتى في ذلك الوقت (أي وقت الإشراف على الموت) وأنه لا ينبغي أن يغلب في ذلك الوقت بحيث لا يبقي من الخوف شيء- انتهى .

فالحديث مؤيد لمن قال لا يهمل عند الإشراف على الموت جانب الخوف أصلاً بحيث يجزم أنه آمن، وفيه ردٌ على من استحب الاقتصار على الرجاء في ذلك الوقت. والله تعالى أعلم.(١)

ومثله حديث عَائِشَةَ ﷺ أَنَّ مُكَاتِبًا لَهَا دَخَلَ عَلَيْهَا بِبَقِيَّةِ مُكَاتَبَتِهِ فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ غَيْرُ دَاخِلٍ عَلَيَّ غَيْرَ مَرَّتِكَ هَذِهِ ، فَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنِّى

(١) تحفة الأحوذي : ٤/ ٥٠ ، حاشية السندي على سنن ابن ماجة : ٨/ ١١٣، مرعاة المفاتيح: ٥/ ٣٠٣ .

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا خَالَطَ قَلْبَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ رَهَجٌ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ) .[1]

والرهج : الغبار .[2]

(١) مسند أحمد : ح/ ٢٤٥٩٢ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : "إسناده حسن". وهو في السلسلة الصحيحة : ح/ ٢٢٢٧ .

(٢) النهاية في غريب الحديث : ٢/ ٢٨١ .

الحديث الواحد والأربعون

القلب السليم ومن أصبح وأمسى وليس في قلبه غشٌ لأحد

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: (كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ) قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ : (هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ).(١)

شرح الحديث :

قَالَ فِي النِّهَايَة (مخموم) : هُوَ مِنْ خَمَمْت الْبَيْتَ إِذَا كَنَسْته وَنَظَّفْته .(٢)

قال القاري : والمعنى أي سليم القلب لقوله تعالى ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ وأن يكون قلبه مكنوسًا من غبار الأغيار ومنظفًا من أخلاق الأقذار .

وقوله ﷺ : (صدوق اللسان) : أي كل مبالغ للصدق في لسانه فيحصل به المطابقة بين تحسين لسانه وبيانه فيخرج عن كونه منافقًا أو مرائيًا مخالفًا ، قالوا صدوق اللسان بالجر على الحكاية ، ويجوز رفعه على إعراب الابتدائية والخبر.

وقوله ﷺ : (نعرفه فما مخموم القلب) قال هو النقي أي نقي القلب وطاهر الباطن عن محبة غير المولى ، التقي أي المجتنب عن خطور السوي لا إثم

---

(١) سنن ابن ماجه - كتاب الزهد - باب الورع والتقوى : ح/ ٤٢١٦. وهو في السلسلة الصحيحة للألباني : ٩٤٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٢/ ٨١.

عليه فإنه محفوظ وبالغفران محظوظ ، وبعين العناية ملحوظ ، ومن المعلوم أن لا لنفي الجنس.

وقوله ﷺ : (ولا بغي) أي لا ظلم له .

وقوله ﷺ : (ولا غل) أي لا حقد .

وقوله ﷺ : (ولا حسد) أي لا تمني زوال نعمة الغير؛ من باب التخصيص والتعميم على سبيل التكميل والتتميم ، لئلا يتوهم اختصاص الإثم بحق الله ، فصرَّح بأنه لا مطالبة عليه لا من الخلق ولا من جهة الخالق ، والله تعالى أعلم بالحقائق.[1]

ومنه ما يُروى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قال لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (يَا بُنَيَّ ! إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ ، ثُمَّ قَالَ لِي يَا بُنَيَّ ! وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ).[2]

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري : ١٥/ ١١٩.

(٢) سنن الترمذي – الذبائح – أبواب العلم عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع : ح/ ٢٦٧٨ ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . وهو ضعيف . ضعيف سنن الترمذي : ح/ ١٧٢٧.

فتأمَّل كيف ينصح النبي ﷺ أنسًا ، يقول له لطفًا وشفقةً ومرحمةً (يا بُنَيّ) كوصية الأب لابنه الصغير ، إن قدرت على أن تصبح وتمسي، أي يأتي عليك كل صباح وكل مساء وليس في قلبك غش لأحد ، وإنما النصيحة لجميع الناس ، فلا غل وحسد ولا بغضاء لأحد من الناس ، أيا كان سواء مسلمًا أو كافرًا ، أما المسلم فلأنه أخوك في دين الله ، ولا يحل لك من ذلك معه شيء ، وأما الكافر فجهدك أن تنصحه ، وتخلصه من ورطة الشرك والكفر التي فيها هلاكه . فإن سلامة القلب من الغش من سنتي ، ومن أحب سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة .[1]

---

(١) التيسير للمناوي : ٢/ ٧٥٥ ، تحفة الأحوذي : ٧/ ٣٧١.

أسانيدي إلى هذه الأحاديث الأربعين المباركة

قال الإمام العلم عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"إن الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" .

وقال محمد بن حاتم بن المظفر : "إن الله قد أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد ، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد ، إنما هو صحف في أيديهم ، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم ، فليس عندهم تمييز .. ".

وقال العلامة ولي الله الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن سبب تأليفه لرسالته المسماة بـ "الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد" قال : "حداني على تأليفها احتياج أهل العصر إلى مثلها، فإن هذا العلم صار في عصرنا نسيًا منسيًا ، وكاد أهل العصر لجهلهم بفضله يتخذونه سخريًا"[1].

لذلك أورد هذه الأسانيد ، إبقاءًا لسلسلة الإسناد في الأمة ، نصل بها أنفسنا وإخواننا من بعدنا بمؤلفي هذه الدواوين المباركة ، لعل الله أن يصلنا وإياهم برحمته ، اللهم آمين .

وسأكتفي بذكر إسنادي صحيحي البخاري ومسلم لأن أكثر الأحاديث منها ، وأشير إلى شيوخي في الكتب الستة المتبقة .

---

[1] الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد : ص ٢٤.

إسنادي إلى صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ)

أرويه عن الشيخ الدكتور المحدث عبد الله بن صالح العبيد –حفظه الله– سماعًا لكثير منه وإجازة، قراءةً عليه وأنا أسمع[١]، قال : أخبرنا في غاية العلو العلامة المُعَمَّر عبد القادر بن عبد الله شرف الدين بقراءتي عليه لجميعه بصنعاء، قال: قرأته من أوله إلى آخره على والدي، وأخبرني أنه قرأه جميعه على العلامة المحدث محمد بن محمد بن علي العمراني الصنعاني : أخبرني والدي بجميعه قال: أخبرنا به شيخنا القاضي العلامة صفي الإسلام أحمد بن محمد قاطن الصنعاني ، أخبرنا يحيى بن عمر الأهدل ، قال: أخبرنا أبو بكر بن علي البطاح ، أخبرنا يوسف بن محمد البطاح ، أخبرنا الطاهر بن حسين الأهدل، أخبرنا الحافظ عبد الرحمن بن علي بن الديبع ، أخبرنا الحافظ أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، أخبرنا الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أخبرنا الحافظ برهان الدين أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي، أخبرنا المسند المعمر أحمد بن أبي طالب الحجار ، أخبرنا الإمام أبو عبد الله الحسين بن المبارك الزَّبيدي ، أخبرنا الحافظ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السِّجْزي ، أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداوودي، أخبرنا الإمام أبو محمد عبد الله بن حمويه السرخسي، أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفِرَبْري، أخبرنا به مؤلفه

---

(١) عبر الشبكة العالمية.

الإمام أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي مولاهم البخاري –رحمة الله تعالى عليه وعليهم وعلينا أجمعين[١].

وأرويه بأعلى من ذلك : أخبرنا به الشيخ علي أبو العيش الأردني رحمه الله سماعًا لأوله وإجازة بباقيه قراءة عليه وأنا أسمع[٢] قبيل وفاته بأيام ، عن الشيخ بدر الدين الحسني ، عن الشيخ أبي النصر الخطيب ، عن الشيخ محمد مصطفي رحمتي، عن الشيخ مصطفي رحمتي، عن الشيخ إبراهيم الكوراني ، عن الشيخ النجم الغزي ، عن البدر الغزي وهو يروي عن كثير منهم ، عن السيوطي، عن زكريا الأنصاري، عن نجم السنة ابن حجر العسقلاني ، عن إبراهيم التنوخي ، عن أحمد ابن أبي طالب الحجار ، عن الحسين بن المبارك الزبيدي ، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي ، عن عبد الرحمن بن محمد الداوودي ، عن عبد الله بن أحمد السرخسي ، عن محمد بن يوسف بن مطر الفربري ، عن أمير المؤمنين في الحديث الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله.

وبهذا يكون بيني وبين الإمام البخاري رحمه الله تسعة عشر واسطة ، وهذا إسناد عالي – ولله الحمد والمنَّة – .

---

(١) انظر : الإمتاع بذكر بعض كتب السماع – للدكتور عبد الله بن صالح العبيد : ص ١٠٢.

(٢) عبر الشبكة العالمية.

إسنادي إلى صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ)

سمعت بعضه وإجازة بباقيه على الشيخ الْمُعَمَّر صاحب أعلى سند في صحيح مسلم الشيخ المحدث ظهير الدين المباركفوري حفظه الله ، قراءة عليه وأنا أسمع[١]، وهو قراءة لنصفه إن لم يكن لكامله ، على أحمد الله القرشي الدهلوي، عن محدّث عصره الإمام نذير حسين الدِّهلوي الملقب بشيخ الكل (ت١٣٢٠)، عن الشيخ الشاه محمد إسحاق الدهلوي ، عن الشيخ الشاه عبد العزيز الدهلوي، عن الشيخ المحدث ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، عن شيخه أبي الطاهر محمد إبراهيم الكردي المدني ، عن والده الشيخ إبراهيم الكردي المدني، عن الشيخ سلطان بن أحمد المزاحي قال: أخبرنا الشيخ أحمد السبكي ، عن النجم الغيطي ، عن الزين زكريا ، عن أبي الفضل الحافظ ابن حجر، عن الصلاح ابن أبي عمرو المقدسي ، عن علي بن أحمد بن البخاري ، عن المؤيد الطوسي ، عن أبي عبد الله الفراوي ، عن عبد الغافر الفارسي ، عن محمد الجلودي ، عن إبراهيم ابن محمد بن سفيان ، عن مؤلفه الإمام أبي الحجاج مسلم ابن الحجاج القشيري رَحِمَهُ اللهُ .

ولي أيضًا سماع لأكثر صحيح مسلم على الشيخ الفاضل محمد بن أبي بكر الحبشي عن والده المحدث أبي بكر الحبشي الحسيني رَحِمَهُ اللهُ بإسناده كما في ثبته المسمى: بـ"الدليل المشير ".

---

(١) عبر الشبكة العالمية.

موجز أسانيدي إلى السنن الأربعة

١- سنن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) :

أرويها سماعًا لأكثرها[1] (٤٧٠٠ حديث من أصل ٥٧٧٤) وإجازة بباقيها على جمع من الشيوخ الأفاضل وهم : الشيخ ظهير الدين المباركفوري ، والشيخ ثناء الله بن عيسى خان المدني ، والشيخ غلام الله رحمتي ، والشيخ عبد الله بن حمود التويجري ، والشيخ مصطفى القديمي ، والشيخ علي زوبر الأهدل .

٢- سنن أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)

أرويها سماعًا لأولها وإجازة بباقيها عن الشيوخ الستة السابقين ، وسماعًا لكثير منها (١٢٠٠ حديث من أصل ٣٣١٧) على الشيخ ظهير الدين المباركفوري وحده.

٣- سنن الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) :

أرويها سماعًا لأكثرها (٣٠٠٠ حديث من أصل ٣٩٥٦) وإجازة بباقيها عن الشيوخ المذكورين سابقًا إلا غلام الله رحمتي .

٤- سنن ابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ)

أرويها سماعًا لأولها وإجازة بباقيها عن الشيوخ السابقين ، وأرويها عن الشيخ ظهير الدين المباركفوري سماعًا لثلثها وإجازة بباقيها .

* وأروي الكتب الستة جميعًا عاليًا سماعًا لأولها وإجازة بباقيها عن الشيخ علي أبو العيش الأردني رحمه الله عن شيخه العلامة بدر الدين الحسني رحمه الله .

---

(١) عبر الشبكة العالمية، وكذا بقية السنن.

وأروي الصحيحين والسنن من طريق العجلونية بحق قرائتي لها على شيوخي الشاميين: يوسف المرعشلي، وصالح معتوق، كلاهما في جامعة بيروت الإسلامية، ومالك جديدة العكاري في مكتبته العامرة في مدينة عكار، وماجد الدرويش في مكتبة جامعة الجنان بطرابلس، وعبد الحميد شانوحة في بيته في بيروت، وعلي الصياد الصيداوي في بيته في صيدا، وقاسم ضاهر في مسجد محمد الأمين صلى الله عليه وسلم في بيروت.

وغيرهم .

ملاحظة: تفاصيل أسانيد الشيوخ المذكورين سابقًا معروفة لمن أرادها في أثباتهم أو أثبات شيوخهم .

الفهرس

الحديث السادس عشر: انكار القلب المنكر أضعف الإيمان	
الحديث السابع عشر: ثلاثة لا يُغِّل عليهن قلب رجل مسلم	
الحديث الثامن عشر: طلب سلامة القلب وترك المشتبهات	
الحديث التاسع عشر: من سأل الله الشهادة من قلبه صادقًا	
الحديث العشرون: قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن	
الحديث الحادي والعشرون: القلب الرحيم في الجنة	
الحديث الثاني والعشرون: أبعد القلوب من الله القلب القاسي	
الحديث الثالث والعشرون: من خير مال المرء قلب شاكر	
الحديث الرابع والعشرون: الكرم قلب المؤمن	
الحديث الخامس والعشرون: لا تختلفوا فتختلف قلوبكم	
الحديث السادس والعشرون: ضرب القلوب بعضها ببعض إذا رضيت بالمنكر	
الحديث السابع والعشرون: إنه ليغان على قلبي	
الحديث الثامن والعشرون: من يطبع على قلبه	
الحديث التاسع والعشرون: المعاصي تنكت في القلب	
الحديث الثلاثون: كثرة الضحك تميت القلب	
الحديث الحادي والثلاثون: الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب	
الحديث الثاني والثلاثون: لا يزال قلب الكبير شابًا على اثنتين	
الحديث الثالث والثلاثون: يكون رجال قلوب شياطين في جثمان إنس !!	


تمت بحمد الله